من ألوان

البديع عند الشهاب الخفاجى فى حاشيته المسماة

للعناية القاضى وكفاية الراضى لله

على تفسير البيضاوى

إعـداد

د. محمد السيد محمد الطباخ

الأستاذ المساعد فى قسم البلاغة

والنقد بالكلية

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه القائل "مثل ما بعثنى الله به -ﷻ- من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير... فذلك مثل من فقه فى دين الله، ونفعه بما بعثنى الله به، فعلم وعلَّم...)[1]

فأما بعــد

لما كانت حركة الحياة لا تستقيم إلا بإنزالها على ما قرره بيان الله -عز وعلا- الناس إنزالاً يحقق جوهر التدين الحق، وكان هذا الإنزال لا يستقيم إلا بفقه ذلك البيان فقهاً دقيقاً يحقق وظيفة الرسول (ﷺ) فينا (**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**)[2]

ولما كانت المعانى المودعة فى البيان القرآنى الذى هو المراد الإلهى ذات دقة وغور كانت الحاجة فى فهم كنهها إلى قدر بالغ من التوفر والتحفز، فمن ذلك الفهم تشكل صورة الدين فى حياة الأمة. لهذا كان لأهل العلم جهد بالغ فى هذا المضمار، ولعلماء البلاغة - من المفسرين القدح المعلَّى، فقد أودعوا أسفارهم فيضاً من هذا العلم نظراً وتطبيقاً ما بين تصريح وإيماء وإجمال وتفصيل، فكان لهم علينا أن نوفىَّ تراثهم بعض حقه من الدرس والتدبر والتأصيل البيانى، وقراءة عباراتهم عن مكنون قلوبهم، ورصد وقع حركتهم على لاحب منهجهم ببصيرة البيانى.

ذلك ما قامت له هذه الدراسة، وهى أن اتخذت من حاشية الشهاب على البيضاوى ميدان حركة، سعياً إلى تفسير إشارات الأئمة وتبيان أسسها البيانية،

---

١) البخارى : باب العلم – مسلم باب الفضائل (والنص له) حديث رقم ٢٢٨٣/١٥.

٢) سورة آل عمران / ١٦٤

التى تقارن بين المتماثلات وتوازن بين المتعارضات، وهو ما يتناسق مع حقيقة البيان فى الكتاب والسنة سعياً للحصول على مراد الشهاب وتفرده فى حاشيته ببعض الآراء فى الألوان البديعية، فضلاً عن بيان سر أصالة البديع فى الجملة، وملائمته للأسلوب، بما يؤكد على أن وجوده فى القرآن ليس حلية مُزيِّنة، بل نراه أصلاً برأسه يختل المعنى بزواله، ويتأثر الأسلوب باختلاله.

ووقوفى مع حاشية الشهاب ليس باكورة أعمالى مع الحواشى، فقدُسبق بعمل أسميته : الاستفهام بين الكازرونى والشهاب من خلال حاشيتيهما على البيضاوى، تعرضت فيه لبيان حياة الشهاب وأعماله، ودور الاستفهام البلاغى فى بيان المراد من الآيات، وهو ما كان سبباً فى عزوفى هنا عن التصدى لحياته وذكر مناقبه فى الوقت الذىُنقرُ فيه بقصب السبق –فى إطار الحواشى ودراستها- للأستاذ الدكتور / فريد النكلاوى. أطال الله فى عمره – وجزاه خيراً على ما قدم.

وعملى هذا هو مجرد خطوة فى طريق البحث البلاغى، لعلها تكون سبباً فى بسط رأى للشهاب حتى ولو كان فى صورة من صور البديع القرآنى.

هذا وقد جاء البحث فى مقدمة وتمهيد ودراسة تطبيقية وخاتمة.

أما المقدمة : فقد أبنت فيها عن أهم الدوافع إلى الوقوف مع هذا العمل.

ثم تأتى مكانة البديع وصلته بسائر علوم البلاغة الأخرى فى التمهيد، مع بسط آراء العلماء وبيان مذاهبهم فى ذلك لتكون مدخلاً إلى دراسة البديع التطبيقية بعد الحديث النظرى.

أما الدراسة التطبيقية فكانت مجالاً للبحث البلاغى البديعى فى حاشية الشهاب، وما به من آراء لمجموع العلماء المتعرِّض لهم فى إهاب التعليق على الآيات الكريمة، وعزو الآراء إلى أصحابها، اضطلاعاً بدور أهل العلم فى كل زمان.

ثم تأتى الخاتمة لبيان أهم النتائج المستخلصة من آراء صاحب الحاشية والتصدى لها.

والله أسأل أن يوجه رغباتنا إليه ويخلص نياتنا فى التوكل عليه، وأن يجعلنا ممن همه الصدق، وبغيته الحق، وغرضه الصواب... إنه ولىُّ ذلك والقادر عليه.

التمهيد

"مكانة البديع بين علوم البلاغة"

ورد لفظ "البديع" بمعنى الجديد المبتكر المخترع لاعلى مثال سابق، يقال : أبدع فلان كذا : إذا اخترعه وابتكره على غير مثال، قال حسان بن ثابت :

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم.:. أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

سجية تلك فيهم غير محـدثة.:. إن الخلائـق فـا علـم شرها البدع[1]

وجاء فى القرآن الكريم بمعنى : جمال المنشأ وحسن البدء على غير مثال، قال تعالى (**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**)[2] ويقول : (**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**)[3]. كما ورد فى الحديث الشريف بمعنى : الطيب والجديد، كقوله (ﷺ) فى وصف تهامة : "إن تهامة كبديع العسل حلو أوله وحلو آخره"[4].

وعُرف البديع بأنه : علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة[5].

وبتتبع علوم البلاغة ندرك أن القدماء كانوا يطلقون لفظ البديع على علوم البلاغة كلها، دون تفريق بين واحد منها، إذ كانت هذه اللفظة عندهم هى المرادفة للفظة بلاغة، ودليلنا فى هذا أن ابن المعتز جعل البديع خمسة أنواع : الاستعارة، التجنيس، المطابقة، رد أعجاز الكلام، المذهب الكلامى، ثم ذكر بعض محاسن الكلام، وعدّ منها ثلاثة عشر نوعاً.

---

١) ديوان حسان بن ثابت حققه وعلق عليه د. وليد عرفات ط/دار صادر بيروت

٢) سورة الأنعام /١٠١

٣) سورة البقرة /١١٧

٤) النهاية فى غريب الحديث /١٠٦-١٠٧

٥) الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة/١٩٠ وشروح التلخيص ٢٨٢/٤

ولما جاء قد امة بن جعفر أورد سبعاً وعشرين نوعاً توارد مع ابن المعتز فى سبعة أنواع، وانفرد بعشرين.(١).

وابتكر أبو هلال العسكرى على ما سبق ستة أنواع، وأطلق كلمة البديع على أنواع، أخرج منها التشبيه، والإيجاز والإطناب والسجع، بينما عدّ الاستعارة، والمجاز من البديع.(٢) أما الإمام عبد القاهر الجرجانى فقد جعل البديع واحداً من أصول البلاغة تراه يقول : (وأما التطبيق والاستعارة وسائر أنواع البديع فلا شبهة أن الحسن والقبح لا يعترض الكلام بهما إلا من جهة المعانى من غير أن يكون للألفاظ فى ذلك نصيب)(٣).

كما نرى الزمخشرى هو الآخر يجعل التورية واحداً من صنوف البيان وصوره، مع إن المتعارف عليه حديثاً هو إدراجها فى معية البديع، نقرأ ذلك جلياً عند تصدى الزمخشرى لتفسير قوله تعالى (**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**)(٤) فى قوله (ولا ترى باباً فى البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب، ولا أنفع ولا أعون على تعاطى تأويل المشتبهات من كلام الله، وكلام نبيه "صلى الله عليه وسلم")(٥).

وهذه المقولات إن دلت فإنما تدل على عدم التفرقة عند القدماء بين لفظتى (بديع وبلاغة) بل على ترادفهما للوصول إلى المعنى. وإذا كان هذا هو موقف القدماء من علم البديع، فإنه يجدر بنا أن نؤكد على أن منزلته تلك مشروطة بتطلب المعنى له ومجيئه عفو الخاطر، يقول الجاحظ (البديع مقصور على

---

١) نقد الشعر. قدامة بن جعفر /٣٨

٢) الصناعتين لأبى هلال العسكرى / ١٨٠

٣) مقدمة أسرار البلاغة – عبد القاهر الجرجانى/١٤-١٧

٤)سورة الزمر / ٦٧

٥) الكشاف للزمخشرى ٤٠٩/٣

العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة)[١].

ويحدثنا صاحب الطراز عن فن البديع ومكانته (اعلم أن هذا الفن من الكلام مختص بأنواع التراكيب، وهو خلاصة علمى المعانى والبيان، ومصاص سكرهما، وعلم البديع هو تابع للفصاحة والبلاغة، فهو صفو الصفو، وخلاص الخلاص)[٢]. ويقول التفتازانى (وتتبع بلاغة الكلام وجوهاً أخرى سوى المطابقة والفصاحة تورث الكلام حسناً)[٣] ويقول فى مقام آخر : (وإذ تقرر أن البلاغة بمرجعيها، وأن الفصاحة بنوعيها، مما يكسو الكلام حلة التزيين، ويرقيه أعلى درجات التحسين، فها هنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يُصار إليها لقصد تحسين الكلام)[٤].

وبهذه المقولة نرى السكاكى مع فصله بين علمى المعانى والبيان، لم يعرض لألوان البديع على أنها علم مستقل عن العالمين، بل إنها تشارك مسائلهما فى تزيين الكلام بأبهى الحلل، والوصول به إلى أعلى درجات التحسين[٥]. كما يعلق ابن يعقوب المغربى قائلاً : (تورث الكلام حسناً، أى حسناً زائداً على الحسن الذاتى الحاصل بالبلاغة...)[٦].

وتأكيداً على منزلة البديع نرى السكاكى وقد ذكر الاعتراض والإيجاز والالتفات والإطناب فى ألوان البديع، ثم ذكرها فى المعانى (ولعل السر فى تكريره لها أنه لمجاراة العلماء السابقين، إذ جرت عادتهم ذكرها ضمن مباحث البديع، فنبه بهذا على أنها تعدل مباحث علم المعانى فى العود على الكلام

---

١) الفنون البلاغية فى دائرة البحث البلاغى/١٠ بتصرف

٢) الطراز للعلوى ٣٤٧/١ بتصرف

٣) مختصر السعد ضمن شروح التلخيص ١٤١/١

٤)مفتاح العلوم للسكاكى/١٧٥ بتصرف.

٥) الصبغ البديعى /٢٥٢

٦) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ١٤١/١

بالتحسين...)[1] ويقول فى مقام آخر : (وإذ تقرر أن البلاغة بمرجعيها، وأن الفصاحة بنوعيها، مما يكسو الكلام حلة التزيين، ويرقيه أعلى درجات التحسين، فها هنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يُصار إليها لقصد تحسين الكلام)[2].

وبهذه المقولة نرى السكاكى مع فصله بين علمى المعانى والبيان، لم يعرض لألوان البديع على أنها علم مستقل عن العلمين، بل إنها تشارك مسائلهما فى تزيين الكلام بأبهى الحلل، والوصول به إلى أعلى درجات التحسين[3]. من هنا تأتى فخامة منزلته وعلو مكانته، مما يجعله جديراً بالدراسة فى الحواشى والشروح، عساه أن يكون زاداً لنا فى مصاحبة حاشية الشهاب فى إطارها البديعى.

---

١) الصبغ البديعى / ٥٦-٥٧

٢) الصبغ البديعى / ٢٥٢

٣) مفتاح العلوم للسكاكى / ١٧٥ بتصرف

"الدراسة التطبيقية"

من اللف والنشر عند الشهاب

قال تعالى : (وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[1]

قال البيضاوى : والضمير لأهل الكتاب من اليهود والنصارى وهو لف بين قولى الفريقين... ثقة بفهم السامع.

قال الشهاب : قوله والضمير.. إلخ والضمير لأهل الكتاب لم يجعله للكثير مع أنه المتبادر كما قيل، ليوافق ما بعده من قالت اليهود، وقالت النصارى، ولأن الحكم ليس مخصوصاً ببعضهم، فيجعل الجميع كأنهم قالوه، ويدل عليه الآية الأخرى (وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) وقوله : لف إلخ هذا نوع من اللف والنشر لطيف المسلك يسمى اللف والنشر الإجمالى[2]، قال المحقق : ولقائل أن يقول لما كان اللف بطريق الجمع كان المناسب أن يكون النشر كذلك، لأن رد السامع بقول كل فريق إلى صاحبه، فيما إذا كان الأمران مقولين، وكلمة أو لا تفيد إلا مقولته أحد الأمرين، والجواب : أن مقول المجموع لم يكن دخول الفريقين بل دخول أحدهما لكن بعضهم هذا بالتعيين وبعضهم ذاك بالتعيين أهـ. ورد بأن مقول المجموع دخول الفريقين لا دخول ذلك الفريق لا غير، فالجواب أن وجه إيثار أو على الواو لدفع توهم أن شرط الدخول كون الشخص جامعاً لوصفى اليهودية والنصرانية، وهذا لا محصل

---

١) سورة البقرة / ١١١

٢) اللف والنشر : واحد من المحسنات البديعية وقد عرّفه العلماء بأنه ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل من غير تعيين ثقة بأن السامع يميز ما لكل واحد منهما ويردّه إلى ما هو له، وهذه الآية (من كان هوداً..) تندرج فى إطار النوع الأول وهو : ذكر المتعدد على جهة الإجمال.

لـه، فالصـواب –مـا فـى مغنـى اللبيـب- أن أو –هنـا- للتفصـيل والتقسـيم، وهـو كمـا يكون - بأو يكون بالواو –أيضاً- فهى تدل علـى اجتماعهمـا فـى المقسم، ولا تنـافى اللف والنشر[1]، وقوله (بين قولى الفريقين، لأن اليهود لا تقول : لا يدخل الجنة إلا النصارى، ولا عكسه.

استطاع الشهاب توضيح الهدف منه الرجوع الضمير لأهل الكتاب فى قولـه البيضاوى مع بيانه للعله الرئيسه فى ذلك، كما يضاف للشهاب هنا نصه على نـوع اللف والنشر الإجمـالى، مـع أن البيضـاوى لـم ينص علـى ذلك، فضـلا عن تسنيده للمقوله المذكورة وهى (لما كان اللف بطريق الجمع كان المناسب أن يكون النشر كذلك) وجاءت التفنيد متكئا على أمرين أن اللف فى واو الجماعة فى قوله قالوا أما النشر فقد جاء فى قوله إلا من كان هودا أو نصارا، قالت اليهود لم يدخل اللجنة إلا من كانوا هودا وقالت النصارى لن يدخل اللجنة إلا من النصـارى، أمـا الثـانى فهو بيان دلالة أو على التفصيل أو التقسيم كما ذكر صاحب مغنى اللبيب.

قال تعالى (**وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًـا مَّحْسُورًا**)[2].

قال البيضاوى : تمثيلان لمنع الشحيح وإسراف المبذر فهو نهى عنهما وأمر بالاقتصاد بينهما الذى هو الكرم... يعلم سرهم وعلنهم.

قال الشهاب : قوله : بالإسراف وسوء التدبير إلخ قيل : الأولى أن يعتبر فيـه التوزيع، والملوم راجع لقوله ولا تجعل يدك مغلولة (البخل) والمحسور راجع إلـى قوله : ولا تبسطها.

أما قوله : يعلم سرهم وعلنهم لف ونشر مرتب كما مرَّ إشارة إلى أن المراد من علم الظـاهر والبـاطن علمـه بمصـالحهم فيقدرها علـى وفق حكمتـه فهو تسلية

---

١) حاشية الشها ب٢/٢٢٣،.

٢) سورة الأسراء / ٢٩

له.[1]، وقوله : ويجوز أن يريد البسط والقبض من أمر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر، فأما العباد فعليهم أن يقتصدوا، فيكون ذكر أن القبض والبسط موكول إليه لعلمه بجميع أحوال عباده عبارة عن أنهم ينبغى لهم الاقتصاد فى أمورهم، لأن الزيادة عنه والنقصان إنما هو لله، وقوله : أو أنه تعالى يبسط تارة ويقبض أخرى فاستنوا بسنته، وهو تعليم لهم وحث لهم على التخلق بأخلاق الله حسبما يقتضيه الحال، وقوله : أو أن يكون تمهيداً لقوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) لإنه إذا كان القبض والبسط لله لا ينبغى أن يُخشى الفقر الحامل على ذلك.

وقد تفرض الشهاب هنا بالنص على المحسن البديعى وهو اللف والنشر المفصل فضلا عن بيانه للمعانى المندرجة فى أطار السر والعلن الغل والبسط والغاية منها والتى يسهم فى تحقيق اللف والنشر فى هذه الآية.

قوله : ملوماً محسوراً نشر على ترتيب اللف، فغل اليد وبسطها هو اللف المفصل، والنشر هنا على ترتيب اللف، فالأول من المتعدد فى النشر (اللوم) راجع إلى غل اليد وهو الأول من المتعدد فى اللف، والثانى (محسوراً) للثانى (البسط).

قال تعالى : (**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**) (**وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**)[2].

قال البيضاوى : الثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة، تنبيهاً على أن المؤمن وإن استغرق عمره فى طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة إلا برحمته وفضله، وكان حق الترتيب أن يقدم ذكرهم لكن قصد أن يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم.

---

١) الحاشية ٢٧/٦

٢)سورة آل عمران / ١٠٦-١٠٧

قال الشهاب : قوله يعنى الجنة إلخ جعل الرحمة بمعنى الجنة من التعبير بالحال عن المحل والظرفية حقيقية أو بمعنى الثواب فالظرفية مجازية، وأما الرحمة التى هى صفة ذاتية فلا يصح فيها الظرفية، ويدل على هذا التفسير مقابلتها بالعذاب ومقارنتها للخلود، وهذا مجاز نكتته ما ذكره وكان حقه التقديم لشرفه ولكن أخر لما ذكر، ومطلعه يا أيها الذين آمنوا ومقطعه آخره، فالكلام فيه لف ونشر غير مرتب لهذه النكتة[1].

ويضاف للشهاب أنه قد نص على المحسن البديعى هنا نشر على غير ترتيب اللف، فضلا عن ذكر النكته فى ذلك النشر –هنا- على غير ترتيب اللف، فاللف فى قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، فالأول من النشر –هنا- فأما الذين اسودت يرجع للثانى من اللف وهو تسود وجوه، والثانى من النشر (ابيضت) للأول من اللف (يوم تبيض).

وبمدارسة الآية نجد أنه قد كنى – سبحانه وتعالى – ببياض الوجوه عن الفوز فى هذا اليوم، وكنى – أيضاً – بسواد الوجوه عن الخزى فيه، فيكون على هذا من تدبيج الكناية. وفيه – أيضاً.

قال تعالى (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)[2].

قال البيضاوى : تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة.

قال الشهاب : قوله : تصوير إلخ كناية عن القهر والعلو بالغلبة والقدرة وهما متعلقان بالقهر والعلو على طريق اللف والنشر، والحاصل أن قوله وهو القاهر عبارة عن كمال القدرة كما أن قوله وهو الحكيم عبارة عن كمال العلم وفوق منصوب على الظرفية معمول للقاهر أى المستعلى فوق عباده بالرتبة

---

١) الحاشية ٣/٥٥

٢)سورة الأنعام / ١٨

والمنزلة والشرف، والعرب تستعمل فوق لعلو المنزلة وتفوقها ومنه : يد الله فوق أيديهم.. والحكيم ذو الحكمة وهى العلم بالأشياء على ما هى عليه والإتيان بالأفعال على ما ينبغى، وقيل : الحكيم بمعنى المحكم من الإحكام وهو إتقان التدبير وإحسان التقدير، وما ذكره المصنف بالثانى أنسب(١).

بمراجعة ما ذكره الشهاب تبين أنه قد نص على المحسن البديعى وعله مجيه على هذا النوع من خلال التصوير الكنائى للغلبة والقدرة وتعلقهما بالقهر والعلو على طريق اللف والنشر.

قال تعالى (**إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**)(٢).

قال البيضاوى : وأو للتفصيل وقيل إنه للتخيير والإمام مخير بين هذه العقوبات فى كل قاطع طريق.

قال الشهاب : قوله وأو فى الآية إلخ أى هى للتقسيم واللف والنشر المقدر على الصحيح، ومن قال بتخيير الإمام جعلها تخييرية، والأول علم بالوحى، وإلا فليس فى اللفظ ما يدل عليه دون التخيير ولأن فيها أجزية مختلفة غلظاً وخفة فيجب أن تقع فى مقابلة جنايات مختلفة، ولأنه ليس للتخيير بين الأغلظ والأهون فى جناية واحدة كبير معنى، والظاهر أنه أوحى إليه هذا التنويع والتفصيل(٣).

جاءت هذه الآية لتؤكد حرمة التعدى على حق الغير، فبينت جزاء الذين يقطعون الطريق، أو يحاربون الله ورسوله بأمور هى القتل أو الصلب معه أو

---

١)الحاشية ٣٥/٤

٢) سورة المائدة / ٣٣

٣)الحاشية ٢٣٩/٣

تقطيع الأيدى والأرجل أو النفى، وقد بيّن صاحب الحاشية أن بعض العلماء جعل أو فى الآية للتخيير لكنه مقيد بملاحظة الجنايات، وختمها الشهاب بتأييده لجعل أو للتفصيل والتقسيم وبيان ما فيها من لف ونشر، باعتبار أن الظاهر : كون هذا التنويع والتفصيل وحياً من عند الله.

قال تعالى : (**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ**)[1].

قال البيضاوى : استقلوا مدة لبثهم إضافة إلى مدة عذابهم.

قال الشهاب : قوله : استقلوا مدة.. إلخ أى عدَّوا اللبث الذى مرَّ ذكره قليلاً... وفى قوله الساعة وساعة جناس تام،... وذكر فى الكشاف أن تقدير لبثهم بالساعة إما لا ستقصاره أو لنسيانهم أو كذب أو تخمين ولم يذكر المصنف الأخيرين، ولذا قيل : إن ما ذكره ظاهر على النسيان لأنه غير مطابق للواقع وإن طابق اعتقادهم بحسب الظن والتحقيق راجع إلى الاستقلال فيجعل على هذا لفاً ونشراً غير مرب، فيكون عين ما فى الكشاف بإدراج التخمين فى الاستقلال والكذب فى النسيان، وفيه كلام من أراده فعليه بالكشاف وشروحة. الحاشية ١٢٩/٧-١٣٠.

قال تعالى : (**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاء يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ**)[2].

قال البيضاوى : يذهب بالأبصار بأبصار الناظرين إليه من فرط الإضاءة وذلك أقوى دليل على كمال قدرته من حيث إنه توليد الضد عن الضد.

---

١) سورة الروم /٥٥

٢) سورة النور / ٤٣

قال الشهاب : قال الأبصار دون البصائر أبقاه على أصله لتبادره منه لكنه ذهب عنه حسن التجنيس ولزوم ما هو كالإيطاء، وقد قيل إنه ليس فى القرآن جناس تام غير هذه الآية وقوله : ويوم تقوم الساعة... وفيه كلام فى الإتقان ناشئ من عدم الإتقان. الحاشية ٣٩٢/٦.

قال تعالى : (وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[١].

قال الشهاب : قوله فى الليل إشارة إلى أنه لف ونشر، ولذا قدر فى النهار بعده وضمير فضله لله[٢]، وكونه - أى الضمير فى فضله – للنهار على الإسناد المجازى خلاف الظاهر، وقوله : من فضله لنفى الإيجاب، وفيه مدح للسعى فى طلب الزرق، وقوله ولكى إشارة إلى أن المقصود منه التعليل.

وبالنظر لهذه الآية نجد أنه قد جُمع بين الليل والنهار على التفصيل، وهو لف، فبعد جمعهما أفرد فذكر ما لليل وهو (لتسكنوا) ثم ما للنهار وهو ابتغاء الفضل والسعى، والغرض هو بيان الفائدة من خلق الليل والنهار، فإن ابتغاء الفضل يستلزم الحركة المضادة للسكون، والعدول عن لفظ الحركة إلى ابتغاء الفضل، لإن الحركة نوعان : لمصلحة ولمفسدة، والمراد : حركة المصلحة.

قال تعالى : (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ)[٣]

قال البيضاوى : يدعون إلى السجود توبيخاً على تركهم السجود إن كان اليوم يوم القيامة، أو يدعون إلى الصلوات إن كان وقت النزاع.

---

١) سورة القصص/ ٧٣

٢) الحاشية ٨٥/٧

٣)سورة القلم / ٤٢

قال الشهاب : قوله توبيخاً.. إلخ يعنى إن كان اليوم يوم القيامة ولا تكليف فيه، فالمراد من دعوتهم له التوبيخ على ما فرطوا فيه، فإن أريد اليوم وقت النزع قبل خروج الروح فى دار التكليف فهو على ظاهره، والمراد منه - أيضاً – التنديم، وقوله لذهاب وقته أو زوال القدرة عليه إلخ الأول على أن المراد يوم القيامة والثانى على أنه وقت النزع فهو لف ونشر مرتب[1] والاستطاعة هى استدعاء الطواعية وهى الإرادة والقصد ونفيها قد يكون لنفى القدرة، فإنه فى الأول (يوم القيامة) لم تنتف القدرة فيه وإنما انتفى وقت التكليف، وفى حالة النزع انتفت القدرة للمرض، وقوله وهم سالمون متمكنون منه مزاحو العلل فيه لف ونشر غير مرتب[2]، فما قيل إن كلامه يشعر بأن الاستطاعة المنفية القدرة الشرعية وما بعده يدل على أن المراد القدرة الحقيقية فيه تأمل، بل سلامة الأسباب والآلات. وبذا نخرج من الآية بمحسن بديعى يُعرف بالتوجيه وهو : إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين وهو اليوم –هنا – وله معنيان، ومصطلح التوجيه من مصطلحات السكاكى، وقد أطلق عليه الرازى قبله المحتمل للضدين.

١)ومنه قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) سورة الأنعام /٩٥ أى بالنبات والشجر، قال عنه الشهاب فيه لف ونشر مرتب لأنها تتشقق تنظر الحاشية ١٠٠/٤

٢)حاشية الشهاب ٢٣٣/٨

من فن التقسيم عند الشهاب

قال تعالى : (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ)[1].

قال البيضاوى : فله أن يقسم النعمة والبلية كيف يشاء، يفعل ما يفعل بحكمة واختيار.

قال الشهاب : قوله : فله أن يقسم... إلخ إشارة لوجه تعقيبه لما قبله، بأنه لما ذكر إذاقته الرحمة وإصابته بضدها أتبعه بأنه المالك للموجودات كلها فله أن يقسم النعمة والبلاء كما يشاء بحكمته لا كما شاءه سواه بهواه، وفيه إشارة على أن إذاقة الرحمة ليست للفرح بل لشكر موليها، وإصابة المحنة ليست للجزع بل للرجوع إلى مجليها، وبنى عليها ما بعده.... وقوله : وتغيير العاطف فى الثالث... إلخ إذا عطف بأو دون غيره، والمشترك بين القسمين الأولين (هبة الإناث وهبة الذكور) هو الانفراد بأحد الصنفين وهذا مقابله، لأنه الجمع بينهما (التزويج بالذكور والإناث) فلو عطف بالواو توهم أنه قسم لكل من القسمين دون المشترك بينهما. وقوله بحكمة واختيار إلخ لف ونشر مرتب، فالحكمة لعلمه بالأشياء وما فيها من المصالح والاختيار لقدرته على إيجاد ما يريد[2].

وبذا نرى هذه الآية تندرج فى إطار ما يسمى بالتقسيم وهو : أن يجمع بين متعدد فى حكم ثم يفرق، أى يوقع التباين بينها ثم يضيف لكل واحد ما يناسبه، فضلاً عن استيفائه – هنا – لجميع أقسام الشيئ فى قوله (يخلق ما يشاء). أضف إلى هذا أن الشهاب قد جمع لوانا أخر فى هذه الأية عند تفسيرة لكلام البيضاوى.

---

١) سورة الشورى / ٥٠

٢)الحاشية ٤٢٩/٧

من مراعاه النظير عند الشهاب

قال تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلا تَسْمَعُونَ) (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ)[1]

قال البيضاوى : كان حقه هل إله فذكر بمن على زعمهم أن غيره آلهة... ولأن منافع الضوء أكثر مما يقابله قرن به أفلا تسمعون وبالليل أفلا تبصرون لإن استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر.

قال الشهاب : قوله : كان حقه.. إلخ لأن هل لطلب التصديق وهو المناسب للمقام بحسب الظاهر، لا من هل التى لطلب التعيين المقتضى لأصل الوجود، لكنه أتى به على زعمهم أن آلهتهم موجودة تبكيتاً وتضليلا فهو أبلغ، وكان حقه أن لا يعبر[2] بهذه العبارة لما فيها من ترك الأدب، لكن إذا ظهر المراد بطل الإيراد وكقوله : سماع تدبر واستبصار دفع لما يتوهم كما سيصرح به من أن الظاهر أن يقال : أفلا تبصرون لأن هذا هو المطابق للمقام، لأن المراد أنكم لو كنتم على بصيرة وتدبر لما ذكرناه عرفتم أنه لا إله غير الله يقدر على ذلك، لأن مجرد الإبصار لا يفيد ما ذكر فهو توبيخ لهم على أبلغ وجه، وقوله (ولعله لم يصف الضياء بما يقابله، لأن الضوء نعمة فى ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل) أى يقابل المذكور – هنا – وهو قوله (تسكنون فيه) كأن يقول ضياء تتحركون فيه وتتصرفون، لأنه لو وصف به دل على أن الامتنان بما فيه من التصرف لا به نفسه وأنه تبع وليس كذلك، وأما ظلمة الليل فليست مقصودة فى نفسها بل النعمة ما

---

١) سورة القصص ٧١-٧٢

٢)أى المصنف (البيضاوى)

فيه من الهدوء والراحة وقوله (ولأن منافع الضوء إلخ) ما يقابله.. أى من منافع ما يقابله أو السكون فيه فهو من قبيل أكثر من أن تحصر، أو هو متباعد فى الكثرة عن مقابله، والأول أظهر، والمراد أنها لو ذكرت كلها أو أكثرها طال الكلام، ولو اقتصر على بعضها توهم الاختصاص به، ولم يقابل الليل بالنهار، لأنه لا يلزمه الضياء، ونفع النهار إنما هو بضيائه بخلاف الليل فإنه لا يخلو عن النفع سواء أظلم أم استنار، ولما كانت منافع الضياء الكثيرة لا يقف عليها العوام إلا بالسماع من الخواص ذيل بأفلا تسمعون، وقوله لإن استفادة إلخ أى قرن الضياء الكثير المنافع المحتاجة إلى كثرة الإدراك بما هو دال على كثرة الاستفادة المناسبة له لأن جميع ما تدركه الحواس يعبر عنه بما يدركه السمع ويزيد عليها بإدراك الأصوات[1]، ولذا نراه مقدماً على البصر فى التنزيل.

وعلى هذا يكون به تشابه أطراف وهو نوع من أنواع مراعاة النظير وهو ختم الكلام بما يناسب أو له فى المعنى، وهو ما واضحة الشهاب فى السر من إيثار من آله على هل أله مع مناسبة الثانى للمقام، فضلا عن بيانة للسبب الرئيس فى مقابلة لليل للضياء وعدم مقابلة للنهار.

قال تعالى : (وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ)[2].

قال البيضاوى : والنجم النبات الذى ينجم ولا ساق له والشجر له ساق.

قال الشهاب : قوله النبات فسروه به، لأن اقترانه بالشجر يدل عليه... ففيه تورية ظاهرة، وفى الكشاف أن الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبينهما مناسبة بالتقابل وأيضاً جرى الشمس والقمر انقياد لإرادته كانقياد النجم والشجر المراد من السجود، فالمناسبة بينهما بهذا الاعتبار ولكل وجهة. الحاشية

١)الحاشية ٨٥/٧.

٢)سورة الرحمن / ٥

٨/١٣٠-١٣١ وهو على هذا نوع من أنواع مراعاة النظير يسمى بإيهام التناسب وهو : أن يجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان، فالنجم –هنا- مثلاً له معنيان : (النبات والكوكب) فهو من جهة يناسب الشمس والقمر، ومن جهة أخرى يمكن أن يناسب الشجر، لذا كان من إيهام التناسب.

من فن المبالغة عند الشهاب

المبالغة مسلك من مسالك العرب فى التعبير ومذهب مشهور من مذاهبهم يلجأون إلى التعبير به فى مقامات المدح والفخر والذم والرثاء باعتبارها من أساليب الكلام العالية التى تفى بحاجات النفس ومطالبها، ولأنها من مذاهب العرب المشهورة فى التعبير فقد استدرك على على بن ثابت عدم مبالغته فى وصف قومه بالكرم والشجاعة فى قوله :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى.:. وأسيا فنا يقطرن من نجدة دما

حيث قال النابغة إنك لشاعر لولا أنك قللت الجفنات والسيوف لكان أكثر، وقلت يلمعن فى الضحى، ولو قلت : يبرقن فى الدجى لكان أبلغ فى المديح، لإن الضيف بالليل أكثر طروقاً، وقلت : يقطرن من نجدة دما فدللت على قلة القتل ولو قلت : يجرين أو يفضن لكان أكثر لا نصباب الدم[1]، وبتتبع لفظ المبالغة نجده يتسع ليشمل معظم الأساليب العربية، هذا هو معناها الشامل أما فى اصطلاح البلاغيين فهو أن يدعى لوصف بلوغه فى الشدة أو الضعف حداً مستحيلاً أو مستبعداً لئلا يظن أنه غير متناه فى الشدة أو الضعف، وما نحن بصدده الآن هو من التبليغ الذى يكون الوصف المدعى فيه ممكناً عقلاً وعادة فقيام السماء والأرض بأمر الله وإرادته لا يستبعد على الله القوى من هنا جاءت المبالغة.

قال تعالى : (**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**)

---

١) تنظر : دراسة فى علم البديع د. محمد أبو موسى / ٣٨

(وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[1].

قال البيضاوى : أحسنوا بهما إحسانا وضعه موضع النهى عن الإساءة إليهما للمبالغة، وتعقلون أى ترشدون فإن كمال العقل هو الرشد.

قال الشهاب : قوله أحسنوا بهما إحساناً فوضعه موضع النهى عن الإساءة إليهما للمبالغة وللدلالة على أن ترك الإساءة فى شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما، ولأن الأمر بالشيئ نهى عن ضده، ولأن الإحسان إذا لم تترك معه الإساءة لا يعتد به، كما قال أبو الطيب :

إذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى.:. فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقياً.

وقوله (من خشيته أو من أجل فقر) إشارة إلى أن الآية (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) شاملة لقتل الأولاد للفقر الحاصل بالفعل أو لخشية الفقر فى المستقبل، وقيل : إن الخطاب فى كل آية لصنف منهم وليس خطاباً واحداً، فالمخاطب بقوله (من إملاق) من ابتلى بالفقر، وبقوله (خشية إملاق) من لا فقر له ولكنه يخشى الفقر.. وهو كلام حسن، وقوله : أو الزنا) فجمع الفواحش للمبالغة أو باعتبار تعدد من يصدر منه، وقوله فإن كمال العقل إلخ لما كان أصل العقل ثابتاً لهم أوّله بما ذكر وهو ظاهر، وقال –هنا- تعقلون وفيما بعده تذكرون مع التفنن بالتعبير بالأمر والنهى، لأن المنهيات كالشرك وقتل الأولاد وقربان الزنا وقتل النفس كانت العرب لا تستنكف منها، وأما إحسان الوالدين وإيفاء الكيل وصدق

---

١) سورة الأنعام / ١٥١-١٥٢

القول والوفاء بالعهد فكانوا يفعلونه، فلذا أمروا بالثبات عليه وتذكره فتدبره[1]. الحاشية ١٣٨/٤.

وقد أحسن الشهاب توجيه المبالغة فى الآيات مع بيان كيفية تحقيقها على المعانى المرادة مرتين –هنا- الأولى : فى توجيهه للمبالغة فى الأحسان للوالدين، والأخرى فى النهى عن قرب الفواحش، فضلا عن مجارته للبيضاوى فى توجيه النص فى الدلالة على محسن أخر إلا ونو تشابه الأطراف.

قال تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ)[2].

قال البيضاوى : والتعبير بالأمر للمبالغة فى كمال القدرة والغنى عن الآلة.

قال الشهاب : قوله : قيامهما بإقامته لهما وإرادته لقيامهما فى حيزها المعينين من غير مقيم محسوس، إلخ يعنى أن القيام -هنا- بمعنى البقاء بعد الإيجاد... والمراد الدخول تحت الوجود على وفق إرداته من غير توقف وامتناع ولا قول ولا أمر حقيقه ثمه.

يؤخذ على الشهاب هنا بعد مراجعة كلامه فى هذه الآيه مخالفته للأمام البيضاوى لعدم النص على المبالغة، وأن كان قد أحسن تفسير المعنى المراد، ولكنه لم يحسن التخريج البلاغى له، وإلا فما المراد بقوله : (الدخول تحت الوجود على وفق إرادته من غير توقف وإمتناع ولا قول ولا أمر).

---

١)يقول القطب الرازى فإن قلت لم ختمت الأولى يعقلون والثانية يتذكرون، فنقول : القوم كانوا مستقرين على الشرك وقتل الأولاد... غير عاقلين لقبحها فنهاهم الله عنها لعلهم يعقلون، أما حفظ أموال اليتامى والعدل فى القول فكانوا يفتخرون بالإتصاف بها فأمرهم الله بها لعلهم يتذكرون إن عُرض لهم نسيان) ينظر حاشية قطب الدين الرازى فى شرحه للكشاف ٢٠٧/٢ تنظر الحاشية ١٢٠/٧

٢)سورة الروم / ٢٥

وما نحن بصدده الأن هو من التبليغ ال١ى يكون الوصف المدعى فيهم ممكن عقلا وعاداً فقيام السماء والأرض بأمر الله وأرادته لا يستبعد على الله القوى من هنا جاءت المبالغة[١].

ومن الألوان البديعية المتعرض لها فى الحاشية : تأكيد المدح بما يشبه الذم كما فى قوله تعالى (**وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**)[٢]. وقد أثرت ذكره –هنا- عقب المبالغة بأعتباره من الأساليب التى تفيد المبالغة فى إثبات الصفة، وله صور متعددة منها هذه الآية التى جاءت فى صورة الاستثناء المفرغ والتى لم يذكر معها المستثنى منه وضابطه : أ ن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح معمول لفعل فيه معنى الذم.

قال البيضاوى : وما تنكر منا إلا إيماننا وهو خير الأعمال وأصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلباً لمرضاتك.

قال الشهاب : قوله وما تنكر أى تعيب وتنكر من نقم وما أنكرته وعبته هو أعظم محاسننا فهو على حد قوله :

ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم.:. تعاب بنسيان الأحبة والوطن.

---

١) ينظر البديع من المعانى والألفاظ د/ عبد العظيم المطعمى / ٥٣ بتصرف

٢) سورة الأعراف / ١٢٦

من صور رد العجز على الصدر عند الشهاب

ويسمى أى رد العجز بالتصدير –أيضاً- وهو أن يأتى أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بالمتجانسين فى أول الفقرة والآخر فى آخرها[1].

وقد أشاد به جمع من العلماء كأبى هلال العسكرى حين قال (إن لرد الأعجاز على الصدور موقعاً جليلاً فى البلاغة، وله فى المنظوم محلاً خطيراً[2].

قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاء مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ)[3].

قال البيضاوى : ومثل ذلك الفتن هو اختلاف أحوال الناس فى أمور الدنيا.

قال الشهاب : قوله : ومثل ذلك الفتن إلخ يعنى : مثل ما فتنا الكفار بحسب غناهم وفقراء المؤمنين حتى أهانوهم لاختلافهم فى الأسباب الدنيوية فتناهم بحسب سبق المؤمنين إلى الإيمان وتخلفهم عنه حتى حسدوهم وقالوا ما قالوا لاختلاف أديانهم فشبه فتناً بفتن، والزمخشرى جعل ذلك إشارة إلى هذا الفتن المذكور، وعبر عنه بذلك إيذاناً بتفخيمه، ولذا قال : ومثل ذلك الفتن العظيم وإنما جئ به مبالغة كقولك ضربت زيداً ذلك الضرب ولا يلزم منه تشبيه الشيئ بنفسه لأن المثل ليس بمراد كذا قرره العلامة، وليست الكاف فيه زائدة، ومن قال الكاف فيه مقحمة أراد أن التشبيه غير مقصود فيه، بل المراد لازمه الكنائى أو المجازى، وصاحب الكشاف لما فى هذا الوجه من البلاغة والدقة اختاره.. وقال الطيبى : لما

---

١)تنظر حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص ٤/٤٣٤

٢) ينظر الصناعتين /٤٠٠

٣)سورة الأنعام / ٥٣

قال الزمخشرى ومثل ذلك التزيين البليغ هذا على أن يكون المشار إليه ما فى هذا الوجه من البلاغة والدقة اختاره... وقال الطيبى لما قال الزمخشرى ومثل ذلك التزيين البليغ هذا على أن يكون المشار إليه ما فى الذهن[1]. والمبالغة إنما يفيدها الإبهام الذهنى. أقول : أراد أن الكاف فى قوله (وكذلك) مقحمة للمبالغة... فهو من باب الكناية وهو وجه بديع، وهذا مما منّ الله به علينا فا حفظه فإنك لا تجده فى غير كتابنا هذا... الحاشية ٦٩/٤.

زاهر المعنى فى هذه الآية يحملها على التشبيه التمثيلى أو المعنى الماجزى، ولكن الشهاب قد جار العلماء فى تخريج المراد بها على وجه بديعى يعرف بالمبالغة، وقد أحسن بيان وجه المبالغة فيها عن طريق أقحام الكاف فى قوله (وكذلك).

أما قوله بعد التخريج وهذا من باب الكناية وهو وجه بديع، فليس المراد منه حقيقة المعنى وهو النص على أن الآية بها كناية فهى تابعة لعلم البيان، أنما هى من عباراته المستحسنه للدلاله فى الأفتنان على هذا المعنى القرانى.

قال تعالى : (**فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**)[2].

قال البيضاوى : يتشاءموا بهم ويقولون ما أصابتنا إلا بشؤمهم وهذا إغراق فى وصفهم بالغباوة والقساوة.

قال الشهاب : قوله إغراق إلخ التطير هو التشاؤم، والإغراق نوع من المبالغة[3]... فيفيد تعريفه (للحسنة) الاعتناء بشأن الحقيقة إما لعظمها أو لأن

---

١) وقد وجه الشهاب إقحام الكاف –هنا- وبيّن المراد منه، ثم نصَّ على توجيهه بقوله : وهذا ما مَّن به الله علينا.

٢)سورة الأعراف / ١٣١

٣)وهو أى الإغراق ما كان الوصف فيه ممكناً عقلاً: لاعادة ومنه قول جرير : إذا غضبت عليك بنوتميم .:. حسبت الناس كلهم عقابا فقد ادعى أن بنى تميم لهم من الحظوة وقوة الشوكة وعموم السلطان ما جعل الناس جميعاً يتبعونهم ويؤيدونهم فى آرائهم، وهذا المعنى ممكن عقلا ممتنع عادة. البلاغة التطبيقية د. / أحمد موسى / ٢٩٦.

الحاجة ماسة إليها أو لأن أسباب نشأتها متأخرة فهى لذلك بمنزلة الحاضر بخلاف التنكير فى (سيئة)، وقيل المراد العهد الخارجى التقديرى، ولذا فسر الحسنة بالخصب والرخاء بدليل ذكره فى مقابلة (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) وفيه مبالغة لأنه لكثرة الوقوع كالجنس كله واجب الوقوع.. ولم يرد بالجنس العهد الذهنى وهذا مراد صاحب المفتاح وبه يندفع ما توهمه صاحب الإيضاح فافهمه فإنه من المضايق، وفى هذا المقام كلام لأهل المعانى من أراده فعليه بشروح المفتاح[1]. الحاشية ٢٠٧/٤

أتبع الشهاب البيضاوى فى بيان معنى جديد من معانى المبلاغة فى هذه المرة بالنص عليه صراحة مرتين، وأن كان يؤخذ عليه بعد تفنيده للمعانى المستنجة من تعرف لفظ الحسنة أستبعاده لوجود محسن بديعى أخر ألا وهو التوجيه، مع أن تحليلاته تنطق بذلك، فلماذا التجاهل لهذا المحسن؟.

بتتبعنا لأسلوب المبالغة وجدناها قد تكون فى إثبات المعنى (الصفة) أو فى إثبات مقدارها وقد تكون فيهما معاً، وهذه الآيات تعد شاهداً على المبالغة فى مقدار الصفة، لأنها قائمة على صيغ المبالغة (شديد) فعيل (غفور ودود) فعول (فعّال) فعّال.

قال تعالى : (**إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ**) (**إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ**) (**وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ**) (**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ**) (**فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**)[2].

قال البيضاوى : فإن البطش أخذ بعنف).

---

١)تراجع التحرير والتحبير لابن ابى الإصبع/١٤٨ والعمدة ٤٣/٢

٢) سورة البروج ١٢-١٦

قال الشهاب : (قوله : فإن البطش.. إلخ إشارة إلى ما فى وصفه بالشدة من المبالغة[1]، وقوله يبدئ ويعيد تفسير له، أى ومن كان قادراً على الإيجاد والإعادة إذا بطش كان بطشه فى غايه الشدة، وبهذا ظهر تعليل هذه الجملة لما سبق وعلى ما بعده هو أظهر، وقيل : فى وجهه أن الإعادة للمجازاة فهى متضمنة للبطش والأول أقرب[2]، وقوله لمن تاب فى لفظ الغفور خصه به إما لمناسبة مقام الإنذار، أو لما فى صيغة الغفور من المبالغة، فأصل المغفرة لا يتوقف على التوبة وزيادتها بما لا يعلمه إلا الله للتائبين، فلا يتوهم أن هذا لا يوافق مذهب أهل السنة وأنه غفلة منه لا تباعه للزمخشرى فى مثله[3]، وقوله (المحب لمن أطاع) بعد لفظ الودود مبالغة وهو بمعنى اسم الفاعل لا المفعول على أن المعنى بحبه خلصّ عباده، لأنه خلاف الظاهر، ومحبة الله ومودته بإنعامه وإكرامه. الحاشية ٣٤٤/٨.

ترى صاحب الحاشية وقد أضاف بعداً جديداً فى الآية بعد المبالغة ألا وهو حسن التعليل باعتبار أن التعليل هو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف والوصف هنا ثابت وهو مقدرته –سبحانه- على الإيجاد والإعادة وله فى العادة علة ولكن صاحب الحاشية أثبت له علة أخرى غير علته المذكورة وهى أن سبب الإيجاد والاعادة للمجازاة، ومن أمثلة هذا النوع قول المتنبى فى مدح بدر بن عمار :

مابه قتل أعاديه ولكن.:. يتقى أخلاف ما ترجو الذئاب

فالوصف الثابت – هنا- قتل الأعداء، وعلة هذا الوصف هى الانتقام منهم ودفع مضرتهم حتى تصفو المملكة من منازعتهم، لكن المتنبى أثبت علة أخرى فادعى أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه فصارت محبته لصدق رجاء الراجين لكرمه

---

١)تنظر : حاشية الشهاب ٣٤٤/٨-٣٤٥.

٢)نجد الشهاب يعرض الآراء ثم يرجح أحدها كما هنا فى قوله والأول أقرب.

٣) هنا يعرض موقف البيضاوى بأمانة فى اتباعه للزمخشرى فى اعتزاله.

هى الباعثة له على قتل الأعداء، ومن جملتهم الذئاب، لأنه عودَّها إطعام لحوم الأعداء، فإذا توجه للحرب تبعته الذئاب رجاءاً فى توسعة الرزق بلحوم القتلى ولما كان ذلك من المعلوم لم يرض تخييب رجائهم لغلبة طبع الكرم عليه، فصار يُقتّل الأعداء لتكميل رجاء الذئاب وهذا تعليل حسن ولطيف قصد به المبالغة فى وصف الممدوح بالكرم وبلوغه القمة فيه حتى أنه لو لم يتوصل إليه إلا بالقتل لفعله، وهذه المبالغة تتضمن وصفه بكمال الشجاعة حتى ظهرت للحيوانات العجم، ووصفه بأنه لا يقتل خنقاً ولا تستفزه العداوة على القتل لسيطرته على نفسه وغلبته إياها فلا يتبعها فيما تشتهى[1]. وهذه الآيات وضحت وعللت سبب نزولها وأنه يراد ببطش ربك الشديد لكفار قريش وأذيتهم لمن أسلم فى ابتداء الإسلام وكل من يكون على شاكلتهم وإلى يوم القيامة، فضلا أن الشهاب قام بعرض الأراء بأمانه شديدة، ثم رجح أحدها بالنص عليه بقوله والأول أقرب، فضلا عن بيانه لموقف البيضاوى المتابع فيه للزمخشرى فى هذه الآية وبيان وجه الصواب فى عدم مخالفته لمذهب أهل السنه شريطه إلا تعد غفله من البيضاوى.

أما قوله تعالى : (**خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ**)[2] فهو تابع أيضاً للمبالغة فى إثبات الصفة، يقول البيضاوى كأنه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم فجعل ماُطبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة فى لزومه له.

قال الشهاب : قوله كأنهُ خلق منه لفرط استعجاله إلخ يعنى أنه استعارة أما مكنية بتشبيه العجل لكونه مطبوعاً عليه بمادته، ويجوز أن تكون تصريحية

---

١) ينظر البديع من الألفاظ والمعانى أ.د/ عبد اللعظيم المطعمى /١١٥ بتصرف يسير ومواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ١٤٥/٤

٢)سورة الأنبياء / ٣٧

والمراد بالإنسان الجنس أو آدم لسريان ماله لأولاده وقوله : ماُطبع عليه أى جُعل طبعاً وغريزة له، والمطبوع عليه بمعنى المخلوق عليه. الحاشية ٢٥٥/٦.

وقد جاءت هذه المبالغة فى صورة استعارته لبيان المبالغة فى اتصاف الانسان بالسرعة والعجلة باعتبار خلقته منها فهو يدور فى فلكها ولا يستطيع التخلص منها.

قال تعالى : (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ)(١).

قال البيضاوى : بليغ الكفران ينسى النعمة رأساً ويذكر البلية ويعظمها ولم يتأمل سببها.

قال الشهاب قوله : بليغ الكفران أى مبالغ فيه، والمبالغة من صيغة فعول، وهو من كفران النعمة لا من الكفر نقيض الإيمان، وقوله : وهذا وإن اختص بالمجرمين جاز إسناده إلى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه، الإشارة –هنا- إلى الفرح والإصابة بما قدموه، أى المجرمين، فإن إصابة غيرهم قد تكون لرفع الدرجات، وقيل : الإشارة إلى الكفران البليغ، وقيل : إن فسر فرح ببطر فالإشارة إلى الفرح، والكفر وإن فسر بمعناه المعروف فالإشارة إلى الكفران، إذ الفرح ليس حال المجرمين، إذ قد يكون شكراً أو اضطراراً، والأنسب بكلامه السابق ما قلناه. الحاشية ٤٢٧/٧.

أعتقد أن الشهاب صاحب روى واضحه فى النص على المعنى المراد من أول وهله حيث أشار فى بدايته حديثه إلى المبالغ المرادة من الكفران، وبعد

---

١)سورة الشورى /٤٨

أستعراضه للمعانى التى يمكن تخريجها عليه عوض القول بـ (والأنسب بكلامه السابق –أى الأمام البيضاوى- ما قولناه).

ويتبع المبالغة أيضاً أقصد المبالغة فى إثبات الصفة باعتباره من أساليب القصر وهو تعريف الطرفين، قوله تعالى (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**)(١).

قال البيضاوى : وتعريف الفقراء للمبالغة فى فقرهم كأنهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء، وأن افتقار سائر الخلائق بالإضافة إلى فقرهم غير معتدّ به.

قال الشهاب : قوله وتعريف الفقراء إلخ لأنه لا عهد فيه فهى للجنس أو للاستغراق، وحصر الجنس فيهم يفيد أنه لا فقير سواهم مع افتقار جميع الممكنات لواجب الوجود، فجعل هؤلاء لشدة احتياجهم كأنه لا فقير سواهم مبالغة... وتوجيهه بأن شدة الافتقار على الأول فى أنفسهم، وفى هذا بالإضافة لغيرهم بعيد يأباه السياق... وأما احتمال كون القصر إضافياً بالنسبة إليه تعالى فمع كونه عدولاً عن الظاهر بلا ضرورة، ومع فوات المبالغة المستفادة من العموم يكون قوله والله هو الغنى الحميد مستدركاً والتأسيس خير من التأكيد فلا وجه للاقتداء بالإمام فيه الحاشية ٧/٢٢١-٢٢٢.

وقد أحسن الشهاب توجيه القصر فى الآية ليستقيم تخريج المبالغة عليه، فى الوقت الذى رفض فيه توجيه القصر الإضافى لأنه يفوت وجه المبالغة المقصودة، مع رفضه لمتابعة الزمخشرى فى رأيه.

---

١)سورة فاطر / ١٥

قال تعالى : (وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ)[1].

قال البيضاوى : ليس عليك حساب إيمانهم، فلعل إيمانهم عند الله أعظم من إيمان من تطردهم بسؤالهم طمعاً فى إيمانهم لو آمنوا، وليس عليك اعتبار بواطنهم وإخلاصهم... فإن كان لهم باطن غير مرضى كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم إليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم.

قال الشهاب : قوله ما عليك.. إلخ يشير إلى تقدير مضاف، أو إلى أنه المراد من النظم أو أن الإضافة إليهم للملابسة المذكورة، وأن حساب الإيمان إما بحسب المقدار أو بحسب الإخلاص، والضمير على هذا للمؤمنين كما يعلم من مقابله، ويجوز أن يكون الضمير للمشركين وضمير تطردهم للمؤمنين، وقوله : فحسابهم إلخ هذا بعينه ما ارتضاه الزمخشرى وأن الجملتين – ما عليك من حسابهم... وما من حسابك عليهم – فى معنى جملة واحدة تؤدى مؤدى (ولا تزر وازرة وزر أخرى، وأنه لابد منهما.. وفى النظم رد العجز على الصدر. وقوله على وجه التسبب وفيه نظر : وفى قوله : (فتطردهم) وجهان : أحدهما النصب على جواب النفى بأحد معنيين فقط وهو انتفاء الطرد لانتفاء كون حسابهم عليه وحسابه عليهم لأنه ينتفى المسبب بانتفاء سببه، أى ما يكون منك مؤاخذة كل واحد بحسابه فكيف يقع منك طرد، وهم وإن أطلقوا قولهم منصوب على الجواب فمرادهم هذا... قال الطيبى وجه النظر الذى ذكره المصنف أن قوله ما عليك من حسابهم حينئذ مؤذن بأن عدم الظلم لعدم تفويض الحساب إليه، فيفهم منه أنه لو كان حسابهم عليه وطردهم لكان ظالماً وليس كذلك، لأن الظلم وضع الشيئ فى غير موضعه وأجاب عنه بأن المراد به المبالغة فى معنى الطرد يعنى : لو قدر تفويض الحساب إليك

---

١) سورة الأنعام /٥٢

ليصح منك طردهم لم يصح أيضاً فكيف والحساب ليس إليك[١]، وأما جعله مترتباً على نفس الطرد بلا اعتبار كونه مترتباً على المنفى ومنتفياً بانتفائه فيفوت وجود سببية النصب، ويمكن أن يكون فتطردهم جواباً للنهى... فالجائز وجهان[٢] أحبهما الأول لا الثانى، إذ كلاهما لا يناسب أن يجاب لأنه يصير معناه : ما عليك كل منهم فتطردهم فيناسب، وإن أجيب بالثانى صار المعنى : مالك كل عليهم فتطردهم، فمفهومه : إن كانوا يحملون عنك كان طردك إياهم حسناً وهو خلق لا يجوز حمل القرآن عليه[٣]. الحاشية ٦٨/٤.

قال تعالى (وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَّ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَّ غَفُورٌ حَلِيمٌ)[٤].

قال البيضاوى : عبر بالسر عن الوطء لأنه مما يسر ثم عن العقد، لأنه سبب فيه، وذكر العزم مبالغة فى النهى عن العقد، أى لا تعزموا عقد عقدة النكاح، وقيل معناه : لا تقطعوا عقدة النكاح.

قال الشهاب : قوله (عبر بالسر) يعنى تعارف التعبير عن الوطء بالسر،

---

١)حاشية الشهاب ٦٨/٤ ومنه قوله تعالى (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) يقول البيضاوى نفى الثلاثة على قصد النهى للمبالغة وللدلالة على أنها حقيقة بأن لا تكون وما كانت منها مستقبحة فى نفسها ففى الحج أقبح. وعلى هذا النهج سار الشهاب فى حاشيته ٢٩٠/٢

٢) ويمكن أن يكون الآية فى وجه جديد يعرف بالإبهام كما سماه ابن أبى الاصبع أو بالموجه، وهو : إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين ينظر : دراسات فى علم البديع أ.د. عبده زايد/٢٧١ مطبعة الأمانة ١٩٨٦م.

٣)وقد رأينا الشهاب يحسن توجيه الآراء بل ويفضل أحدها على الآخر، وهذا ليس بالجديد عليه، فضلاً عن نفيه التوجيه المنافى لأخلاق القرآن.

٤)البقرة / ٢٣٥

لأنه يسر ثم أريد به العقد الذى هو سببه، والأول كناية فيكون الثانى من المجاز لشهرة الأول، ولم يجعل من أول الأمر عبارة عن العقد، لانه لا مناسبة بينهما فى الظاهر.[1]

وقوله ذكر العزم إلخ أى لا تقصدوا قصداً جازماً، لا ترد معه نهى عن العزم، ليكون أبلغ فى منع الفعل، وقيل معناه : لا تقطعوا عقدها بمعنى لا تبرموه ولا تلزموه ولا تقدموا عليه، فيكون النهى عن نفس الفعل لا عن قصده، وبهذا يمتاز عن الوجه الأول. الحاشية ٣٢٣/٢.

قال تعالى : (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)[2].

قال البيضاوى : القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة، وقساوة القلب مثل فى نبوه عن الاعتبار.

قال الشهاب : القسوة معناها الحقيقى اليبس والكثافة والصلابة ثم تجوَّز بها عن عدم قبول الحق والاعتبار، فالاستعارة فى قست تبعية تصريحية، وقيل : إنها تمثيلية حيث شهب حال القلوب فى عدم الاعتبار والاتعاظ بالقسوة ولاعتبار هذه الاستعارة حسن التفريع بقوله فهى إلخ بخلاف ما إذا جعل القلوب استعارة بالكناية والقسوة قرينة فإنه لا يحسن بل لا يستقيم، وبالجملة فالاستعارة وقعت فى الحال، فلا وجه لما يقال إن ظاهر الكلام كون التشبيه فرع الاستعارة والأمر بالعكس، فالتشبيه مترتب على عرفان حالها وأنه حامل على التشبيه المؤدى إلى الاستعارة (أقول) فيه بحث فإنه إنما يتوجه ما ذكره إذا شبهت القلوب بالحجارة كما فى الممثل به. الحاشية ١٨٥/٢. وبهذا نرى أنه قد شبهت القلوب التى لا تنفعها الموعظة ولا تؤثر فيها الأحداث بالحجارة فى القسوة والإجداب فضلاً عن غلظة

---

١)الحاشية ٣٢٣/٢

٢)سورة البقرة / ٧٤

القلب، الأمر الذى يوحى بنفور المجتمع منهم، فهم فى نظر المجتمع رموز لتوحش وإدانة، ومثل هذا يأباه الطبع السليم، والسر فى جعل القلوب مشبهاً يكمن فى أن مرض القلب مرض لسائر الجسد[1].

وقوله : وإنما لم يقل أقسى لما فى أشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة، يعنى أن فعل القسوة مما يصاغ منه أفعل وهو أخصر، وهو وإن كان من العيوب لكنها باطنة، فلا يمتنع صوغه منه كما توهم، فلا حاجة إلى التوصل إليه بأشد، فأجاب بأن أشد أبلغ من أقسى لدلالته على الزيادة بالمادة والهيئة... أو أن المراد بأشد التفضيل فى الشدة، وقدم الأول لأنه الأنسب المتبادر. الحاشية ١٨٦/٢.

قال تعالى : (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)[2]

قال البيضاوى : بل تمثيل حصول ما تعلقت به إرادته بلا مهلة.

قال الشهاب : وجه التمثيل فيه أنه شبهت الحالة التى تتصور من تعلق إرادته تعالى بشئ من المكونات الدال عليها وسرعة إيجاده إياه من غير امتناع ولا توقف بحالة أمر الآمر الناقد تصرفه فى المأمور المطيع الذى لا يتوقف فى الامتثال فأطلق على هذه الحالة ما كان يستعمل فى ذلك من غير أن يكون هنا قول وأمر فهو استعارة تمثيلية، وذهب بعضهم إلى أنها استعارة تحقيقية تصريحية، ٣- وقيل إنه مجاز وإن لم يعتبر ذلك فهو مجاز عن إرادة سرعة التكوين فيكون استعارة تبعية يترتب عليها وجوده سريعاً، فالتقدير : إن يرد سرعة وجود شيئ يوجد فى الحال فالتغاير ظاهر، ومنه تعلم أن عدم الذهاب إلى التمثيل له وجه

١) ينظر : الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١٤٣/٣ت. محمد أبو الفضل إبراهيم ط الهيئة المصرية ١٩٧٥م.
٢) سورة / ١١٧

خلافاً لمن ردّه وهو (النحرير) أما ما قيل إن من يقول إن البديع بمعنى المبدع لا يدعى أنه كذلك بل إنه من قبيل المبالغة من باب جد جده، وقد اعترف به صاحب الكشاف. حاشية الشهاب ٢/٢٣٠.

من صور الاستطراد عند الشهاب

قال تعالى : (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[1].

قال البيضاوى : استطراد فى صفة البحرين وما فيهما من النعم.

قال الشهاب : قوله (استطراد جواب عن سؤال مقدر وهو أنه لا يناسب ذكر منافع البحر الملح وقد شبه به الكافر ولا دخل له فى عدم الاستواء بل ربما يشعر به بوجوده : أحدها : أنه ذكر على طريق الاستطراد لا على طريق القصد وليس هذا الجواب بقوىّ، وأصل معنى الاستطراد أن الصائد يكون يعدو خلف صيد فيعرض له صيد آخر فيترك الأول ويذهب خلف الثانى فاستعير للانتقال من كلام إلى آخر يناسبه، قوله أو تمام التمثيل يعنى أنه من جملة التمثيل وبه يتم، فكأنه قيل : لا استواء بينهما فيما هو المقصود الأصلى – السقى وإزالة الظمأ – وإن اشتركا من جهات أخر كالمؤمن والكافر يشتركان فى أمور شتى ولكن لا يشتركان فيما هو المقصود الأصلى وهو فطرة الإيمان، فلا عبرة بتلك المشاركة، وقوله أو تفضيل للأجاج على الكفار هو جواب ثالث فحاصله : أنه أفيد بعد التشبيه أن الكافر ليس كالأجاج بل أدنى منه، لأن الأجاج يشارك الماء العذب فى منافع دون الكافر، والمراد بالمشاركة فيما يكون من أمور الدنيا والآخرة، لأن أمور الدنيا لا

---

١)سورة فاطر /١٢

عبرة بها فى ذاتها عند الله، وهى مفقودة فى الكافر بالكلية، فلا يرد بأن بين الوجهين تنافياً، لأنه فى الأول[1] أثبت له منافع، وهنا – أى الوجه الثالث- نُفيت عنه مطلقاً، وما قيل من أن قوله وان اتفق إلخ يدفعه فإنه يشير لقلته ففى الثانى – الوجه الثالث – بنى الحكم على الأكثر وألغى النادر عن حيز الاعتبار، وفى الأول – الوجه الثانى من وجهة نظر الشهاب – نظير له غير ظاهر فإنه ليس بنادر فى نفسه كما لا يخفى. الحاشية ٢٢٠/٧.

وعلى هذا فالاستطراد كما عرفه صاحب الحاشية يكون فناً من فنون البلاغة دقيق المجرى غزير الفوائد، وهو مشتق من قولهم أطرده السلطان إذا أخرجه من بلده، لإن المتكلم يخرج من كلامه إلى كلام آخر لمناسبة ثم يرجع إلى ما كان عليه من قبل، ومنه الحديث (التهجد مطردة للحسد) أى يخرج الحسد من الإنسان[2] : ومضى الشهاب يفرق بينه وبين الاعتراض، فبين ان الاعتراض مؤكد لما سيق له الكلام منزل منزلة الجزء منه حتى صح توسطه بين أجزائه ولا يعدّ فصلاً، وهذا يتصل به باعتبار مناسبة ما فلا يتصل كالاعتراض لكن يشبه به من حيث أنهما غير مقصودين، فلها يُساق مساقه إلحاقاً للاتصال الضعيف بالقوى توسعاً[3].

قال تعالى (**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُون**)[4].

قال الشهاب (لمن آتاه ضرباً من الهدى الخ) لما رأى المصنف ما فى

---

١) أى الوجه الثانى المعبر عنه بتمام التمثيل

٢) العمدة ٤٢٩/٢، والطراز ١٧/٣

٣)الحاشية ٢٨٤/٢.

٤) سورة البقرة / ١٤

الكشاف يؤول إلى وجه واحد لتقارب ما فسر به النور والظلمات فجعلها وجهاً واحداً وزاد وجهاً آخر ذكره بعضهم، وتبع السكاكى فى جعل التمثيل مركباً من غير التفات لغيره أصلاً على دأبه فى التنقيح، والمعنى : أنّه تمثيل استعير فيه النور للهدى والظلمات لإضاعته وما يتبع ذلك من مباشرة الأسباب التى خابت فأوقعتهم فى تيه الحيرة والحسرة(١).

قال الشهاب : قوله : للمبالغة : إذا قصد المبالغة التى سنقررها فهو محتمل للحقيقة والمجاز بناء على تفسير النار، فكلام المصنف مخالف لما فى الكشاف من وجوه... والمبالغة إما أن تكون : ١- كاقدمنى حق لى عليك، فقد ألزمه بما لا يلتزمه، وفسر كلامه بما لا يحتمله، وبما عرفت من تفسير السبب الخفى عرفت سقوط ما قيل عليه من أنه (تعالى) لا يخفى عليه شيئ إلى آخر ما أطال به من غير طائل. ٢- وكون المبالغة – هنا – من إسناد الذهاب إلى الله بمعنى الأخذ والإمساك وهو القوى العزيز ظاهر، أما كونه من قبيل أقدمنى حق، فقد عرفت حاله فتدبر. ولذلك عدل عن الضوء مع أنه مقتضى الظاهر المطابق له لقوله أضاءت، للمبالغة، وهذا بناء على أن الضوء أقوى من النور. ويعلق الشهاب قائلاً : (أقول) ما ذكره – قدس سره – يقتضى أن كلاً منهما – أى الضوء والنور – يطلق على ما يطلق عليه الآخر، فهما كالمترادفين، والفرق إنما نشأ من الاستعمال أو الاصطلاح، لا من أصل الوضع واللغة.الحاشية ١/٣٧٠-٣٧٧.

وبهذا الرأى استطاع صاحب الحاشية توجيه المبالغة فى الآية إلى معنى الإمساك والأخذ، وبيَّن وجه اعتراضه على الآراء الأخرى.

---

١) من المعلوم أن الإمام عبد القاهر اشترط العقلية فى التمثيل، والخطيب اشترط التركيب مطلقاً، والسكاكى فقد جمع بين العقلية والتركيب معاً، لكننا عندما نتأمل تلك الآراء نراها تكاد تلتقى حول مفهوم خاص للتمثيل يتناسب مع طبيعته التشخيصية والتجسيمية، هذا المفهوم يتبلور فى تشبيه المعقولات بالمحسوسات ينظر : أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى /١٠٨ ت ريتر والإيضاح بتعليق البغية ٣/٥٩، ومفتاح العلوم للسكاكى /١٦٤ والكشاف للزمخشرى ١/١٩٥.

قال تعالى : (أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ)[1].

قال البيضاوى : فى صيب مبالغة.

قال الشهاب : قوله من المبالغة إلخ بيان لما فى صيب لأن تعريفه يفيد المبالغة بإطلاقه على جميع الأقطار، وصيب يفيد مبالغة تتأتى من مادة حروفه.. والبناء والصيغة لأن فيعل صفة مشبهة مفيدة للثبوت والدوام المستلزم للكثرة، فسقط ما توهم من أن الثبوت لا يدل على المبالغة. الحاشية ٣٩٤/١.

وبذا نرى الشهاب وقد أحسن تخريج فى صيب أولا من مادة حروفه وتعريفه، فالبناء والصيغة –لدى الشهاب- مشتركان فى أبراز أمر المبالغة فى هذه الآية.

قال تعالى (إِنَّ اللّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ)[2].

قال البيضاوى : لما كانت الآيات السابقة متضمنة لأنواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه... فالمراد به الترك اللازم للانقباض.

قال الشهاب : قوله : (لما كانت إلخ) قيل إن هذه الآية جواب عن قول قوم من الكفرة لرسول (ﷺ) أما يستحى ربك أن يذكر البعوض وملوك الأرض يأنفون من ذلك فقال تعالى جواباً لهم إن الله لا يستحى. وقوله : إنما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة أى عدل عن الترك الدال على المراد بالصراحة

---

١) سورة البقرة / ١٩

٢) سورة البقرة / ٢٧

والمطابقة إلى ما ذكر من الاستحياء مع ما فيه من المبالغة، وقوله : يحتمل أن يكون مجيئوه على المقابلة.. إلخ المراد بالمقابلة - هنا – معناها اللغوى لا ما ذكر فى البديع أى للمشاكلة لما وقع فى كلامهم... وفى الكشاف جاءت على سبيل المقابلة، وإطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع.. الحاشية ٢/٨٦-٨٧.

أصبح واضحاً أن المحسن البديعى المراد فى هذه الآية والمفضل عند الشهاب هو المبالغة فى التمثيل عن الاستحياء، مع رفض الشهاب لوجود مشاكلة فى الآية.

ومنه – أى الاستطراد – قوله تعالى (**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**)[1].

قال البيضاوى : التى قصد الشيطان إبداءها.

قال الشهاب : قوله التى قصد الشيطان يريد أن إبداء سوآتهما موجب لإبداء سوآتنا فهو كالقاصد لذلك، ولو لم يخلق الله اللباس لتحقق ما أراده. الحاشية ٤/١٦٠.

قال الزمخشرى هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد وعقب ذكر السوءات وخصف الورق عليها فى قوله (وطفقا يخصفان عليهما) الأعراف /٢٢ إظهارا للمنة فيما خلق من اللباس، ولما فى العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى[2].

---

١) سورة الأعراف / ٢٦

٢)الكشاف ١/٧٦، والطراز ٣ بتصرف

ومنه[1] قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ)[2].

قال البيضاوى : والآيتان معترضتان فى تضاعيف وصية لقمان تأكيداً لما فيهما من النهى عن الشرك كأنه قال وقد وصينا بمثل ما وصىّ به وذكر الوالدين للمبالغة فى ذلك.

قال الشهاب : وقوله لما فيهما إما صلة التأكيد أو تعليل له وفيهما أى الآيتين، وقوله : كأنه بيان للمراد من ذكرهما على وجه يتضح به التأكيد، وقوله للمبالغة أى فى التأكيد للنهى عن الشرك واتباع من يأمر به ولو كان أحق الناس بالطاعة بعد الله، وهما الوالدان ومن هنا جاءت المبالغة.

مقصوده بهذه العبارة : أن الآيتين مستطردتان، إذ أن الاستطراد قريب من الاعتراض، غير أن الاعتراض منه ما يقبح ويحسن، بخلاف الاستطراد فإنه كله حسن – العمده ٣٢٩/٢.

من الواضح أن الاستطراد وقع من وصية لقمان لابنه إلى وصية الله تعالى لعباده لما بينهما من المناسبة، ثم رجع إلى ما كان عليه من وصيه لقمان.

---

١)أى من الاستطراد أيضاً.

٢) سورة لقمان / ١٣-١٧

التجريد صورة من صور البديع عند الشهاب

التجريد يأتى على أنواع هذه الآية أحدهما : وهو أن يكون بدخول فى على المنتزع منه، فالتجريد –هنا- فى قوله (لهم فيها دار الخلد) فقد انتزع من جهنم داراً أخرى فيها الكفار مبالغة من شدة العذاب وتهويلاً لامره[1].

وقد تعرض صاحب الحاشية للون بديعى آخر ألا وهو التجريد فى قوله تعالى : (فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) (ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ)[2].

قال البيضاوى : وهو كقولك فى هذه الدار دار سرور، وتعنى بها عينها.

قال الشهاب : ليس المعنى : أنانذيقهم أسوأ الأعمال بل الأسوأ المنسوب لأعمالهم ثم لما أشير إلى ذلك الأسوأ وأخبر عنه بقوله ذلك جزاء أعداء الله النار وجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذين كانوا يعملون، ليصح الإخبار، إذ الجزاء ليس هو الأسوأ الذى من جنس العمل بل من جنس الجزاء، وقوله وهو كقولك يعنى أنه من التجريد وهو أن ينتزع المتكلم من أمر ذى صفة أمراً آخر مثله فى تلك الصفة مبالغة فى كمال تلك الصفة فى المنتزع منه، لأنها نفسها دار الخلد.

وبمراجعة الآية ندرك أن الشهاب كان أكثر دقة من غيره، إذ نصَّ على تعريف التجريد فى حاشيته على غير عادة كثير من البلاغيين.

ومما تعرض له الشهاب فى حاشيته من الألوان البديعية ما يسمى بالاستخدام.

---

١)ينظر : الإيضاح ٦٧/٤، وحاشية الشهاب ٣٩٨/٧

٢) سورة فصلت / ٢٧-٢٨

كما فى قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[1].

قال البيضاوى : الضمير فى فاجتنبوه للرجس أولما ذكر أو للتعاطى.

قال الشهاب : ولما كان فيه الإخبار عن متعدد بمفرد، فإما أن يكون خبراً عن الأول وخبر الأخيرين مقدر أى رجس وفسق وكفر ونحوه أو فى الكلام مضاف إلى هذه الأشياء والخبر له أى إنما شأن هذه الأشياء أو تعاطيها. وقوله (الضمير) رجوعه أى الضمير على الرجس لا يقتضى الأمر باجتناب الخمر فقط بل كل رجس أو على التعاطى المقدر، وجوَّز عوده إلى الشيطان وهو قريب. الحاشية ٢٧٩/٣.

هو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما المذكور ثم يراد بضميره معناه الآخر، أو يراد بأحد ضميريه أحد المعنيين، ثم يراد بالضمير الآخر معناه الآخر[2].والشهاب فى متابعته للبيضاوى فى توجيه الضمير فى قوله تعالى (فاجتنبوه) يرينا محسناً بديعياً هو التوجيه، إلا أنه على عادته لا يميل إلى الحديث عن هذا النوع البديعى.

ففى هذه الآية جاء بأداة استثناء متلوة بصفة مدح هى الإيمان بالله، والفعل المنفى (وما تنقم) فيه معنى الذم، إذا التقدير : لا عيب فينا إلا الايمان بآيات الله ان كان عيباً، ولكنه ليس بعيب، (ومثله قوله تعالى (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ) المائدة/ ٥٢ إذ المعنى : ما تعيبون فينا إلا ما هو أصل المحامد كله وهو الإيمان بالله)[3].

---

١) سورة المائدة / ٩٠

٢) يراجع الإيضاح للخطيب القزوينى /٣٦٠

٣) يراجع الايضاح بشرح الشيخ عبد المتعال الصعيدى ٥٨/٤ وحاشية الشهاب ٢٠٦/٤

(وجعل منه الشهاب قوله تعالى (**لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا - إِلاَّ قِيلا سَلامًا سَلامًا**) الواقعة / ٢٥-٢٦ وقد علق عليه بقوله (وهو من التعليق بالمحال وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وقد استثنى من صفة ذم منفية عن الشيئ (لا يسمعون) صفة مدح بتقدير دخول صفة المدح المستثناه فى صفة الذم المنفية، فنفى اللغو والتأثيم عن أهل الجنة مدح وقد استثنى منه مدح هو التحية والقول بالسلام، فهو تأكيد للمدح، لأن كليهما مدح.

أما قوله تعالى : (**وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**)[١].

قال البيضاوى : شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض بخيطين... وبذلك خرج عن الاستعارة إلى التمثيل.

قال الشهاب : قوله (شبه إلخ) قوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة، كما أن قولك رأيت أسداً مجاز، فإذا زدت (من فلان) كان تشبيهاً، وورد اعتراض عليه مؤداه (لو كان الفجر بياناً للمراد من الخيط الأبيض لكان مستعملاً فى غير ما وضع له وهو ينحصر فى المجاز والكناية، وليس كناية ولا مجازاً مرسلاً لأنه المراد به التشبيه، فتعين أن يكون استعارة إلا أن يكون بياناً لمقدر، أى حتى يتبين لكم شبه الخيط الأبيض لكن نظم الآية لا يحتاج إلى تقدير وارتكاب حذف –لا سيما- والمجاز أبلغ، وأطال فيه وادعى أنه تحقيق دقيق، وهذا غفلة منهم عن كونه بياناً غير حقيقى على سبيل التجريد[٢].

وبهذا نرى أنه قد ذكر للخيط (الأبيض والأسود) معنيين : أحدهما قريب

---

١) سورة البقرة / ١٨٧

٢) حاشية الشهاب ٢٨١/٢

غير مراد، والثانى بعيد وهو المراد (النور – والظلمة) فتكون الآية على هذا من تدبيج التورية، فضلاً عن التجريد المذكور فيها.

وقوله (واكتفى ببيان الخيط الأبيض إلخ) يريد أن بيانه وهو الغبش كأنه ذكر معه، فخرج إلى التشبيه كالخيط الأبيض وهذا مختار السكاكى، ومنهم من جعل الخيط الأسود استعارة لأنه لم يبين، وقوله من الفجر عن بياض الخيط الأسود لدلالته عليه، وبذلك خرجا عن الاستعارة إلى التمثيل إلخ لأنه من باب التجريد وهو من التشبيه البليغ لأن المشبه يصير عين المشبه به بلا تفاوت.

ومن الألوان البديعية فى حاشية الشهاب : العكس والتبديل كما فى قوله تعالى : (إِنَّ اللهَّ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللهُّ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ)[1].

العكس والتبديل هو أن يقدم جزء فى الكلام ثم يؤخر، ويأتى على أنواع منها : وقوعه بين متعلقى فعلين أو فعل واسم فى جملتين كما –هنا- فالحى والميت متعلقان بيخرج، وقدم الحى أولاً وثانياً الميت، حيث أراد –سبحانه- تصوير قدرته فى شيئين : إخراج الحى من الميت والعكس فأتى بإخراج الحى أولاً، لأن القدرة فيه أظهر وأوضح، ثم عكس المعنى، واسلوب العكس قد صوّر القدرة ابلغ تصوير، لأنه لو أتى تصوير قدرته فى شيئين : إخراج الحى من الميت، والعكس، بإخراج الميت من الحى أولاً لم يتحقق المراد[2].

أما قوله تعالى (لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) الممتحنة/١٠ يقول الدسوقى : هاتان جملتان فى كل منهما ضميران، ضمير الذكور والآخر للإناث، ففى الجملة الأولى وجد ما للإناث منهما فى الطرف الأول الذى هو المسند إليه،

١)سورة الأنعام /٩٥

٢) الصبغ البديعى /٤٧٧ وكذلك صورة يونس /٢١ وآل عمران /٢٧ والبقرة /١٨٧

ووجد ما للذكور فى الطرف الثانى الذى هو المسند من تلك الجملة، وعكس ذلك فى الجملة الثانية فوجد ما للذكور فى الطرف الأول منها، وما للإناث فى الطرف الثانى منها، فصدق أن العكس وقع بين لفظتين كائتين فى طرفى جملتين.

يقول الشهاب : والإمام وصاحب الانتصاف جعلاه معطوفاً على يخرج الحى من الميت، وفيه من البديع التبديل كقوله تعالى (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل)[1] الحاشية ١٠٠/٤.

ومنه قوله تعالى : (**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ**) البقرة ١٨٩/ يقول البيضاوى لما سألوا عمالا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم عقب بذكره جواب ما سالوه تنبيهاً على أن اللائق بهم أن يسألوا أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها، وأن المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال بتمثيل حالهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه الحاشية ٢٨٤/٢.

وقد ذكر الشهاب آراء فى بيان اسلوب الحكيم فى هذه الآيه، منها السكاكى فى قوله (أنهم سألوا عن بيان ما ينفقون فأجيبوا ببيان المصرف ونزل سؤال السائل منزلة سؤال غيره لتوخى التنبيه بألطف وجه على تعديه عن موضع سؤال هو أليق بحاله وأهم بناء على أنه ليس فيها ذكر المنفق أصلاً ولا وجه له، لأن قوله ما أنفقتم من خير ذكر له لكنه لما كان لاحد له أجمل أما الزمخشرى فإنه جعل السياق لبيان المصرف والمنفق مديح فيه وهو الخير، قال الطيبى ولا يخرج عنده عن الأسلوب الحكيم. أما كلام المصنف ففيه شيئ، لأن أوله يقتضى أن ما ينفق لم يذكر أصلاً ككلام السكاكى، وآخره يقتضى أنه ذكر لكن بطريق الإجمال، وإذا طبق المفصل أصاب المحز. الحاشية ٣٠٠/٢-٣٠١.

---

١)تراجع : حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص ٣٢٠/٤ وبغية الإيضاح ٢٦/٤.

ومع أن الشهاب لم ينص –هنا- صراحه على ذكر المحسن البديعى وهو التبديل والعكس، إلا أنه يشتم من تخريجاته، فضلا عن ظهوره واضحه فى كلام البيضاوى المذكور – أنفا- فى قوله (المراد به المراد التنبيه على تعكيسهم السؤال) وتعد هذه من الماخذ على الشهاب إذا لم يتطرق إليها عند تصديه لهذا المعنى.

قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[1].

قال البيضاوى : وحمله على المحاجة أوجه لأنه شكر له على طريقة العكس[2].

قال الشهاب : ووجه حماقته – أى النمروذ- جوابه بما يكذبه العقل وهو ضد الأسلوب الحكيم، وسماه الطيبى كغيره الأسلوب الأحمق، وقوله : على طريقة العكس أنه من باب العكس فى الكلام، بمعنى أنه وضع المحاجة موضع الشكر، إذ كان من حقه أن يشكر فى مقابلة ذلك، وهو باب بليغ ونظيره الآية. الحاشية ٣٣٧/٢.

قال تعالى : (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا)[3].

قال البيضاوى : إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان... كقيام المصروع... من المس أى الجنون، والأصل : إنما الربا مثل البيع، ولكن عكس للمبالغة.

---

١)سورة البقرة / ٢٥٨

٢) سبق بيانه فى أكثر من موضع كما فى قوله تعالى (ما عليك من حسابهم من شيئ).

٣)سورة البقرة / ٢٧٥

قال الشهاب : قال ابن عطيه : المراد تشبيه المرابى فى حرصه وتحركه فى اكتسابه فى الدنيا بهذا، كما يقال لمن يسرع بحركات مختلفة قد جنّ، وقوله : أى الجنون يقال : مس الرجل فهو ممسوس إذا جنّ، وأصله اللمس باليد فسمى به لأن الشيطان يمسه، أو هو على تخيل واستعارة.

وقوله : (إنما البيع مثل الربا) عكس التشبيه بناء على ما فهموه من حل البيع لأجل الكسب والفائدة وهو فى الربا متحقق وفى غيره موهوم، ولذا جوز أن يكون التشبيه غير مقلوب ولكن الله أبطل قياسهم بالنص على حرمته من غير نظر إلى قياسهم الفاسد. وفى الكشاف[1] أنه جئ به على طريق المبالغة، إذ جعلوه أصلاً فى الحل مقيساً عليه، وقال ابن المنير فى حاشيته / أنه خرج على طريقة قياس العكس، فإنه متى كان المطلوب التسوية بين شيئين فقد يستوى بينهما طرداً فيقول : الربا مثل البيع والربا حلال فهو حلال، وقد يعكس فيقول : البيع مثل الربا فلو كان الربا حراماً كان البيع حراماً ضرورة المماثلة، أو يقول : لما كان البيع حلالاً اتفاقاً فأوجب أن يكون الربا مثله ١ هـ. الحاشية ٣٤٧/٢.

* فالقرآن يجرى فى فنه التشبيهى على أساس ما كانت تعتقده العرب وتتخيله، لاعلى ما هو الحقيقة.

---

١) الكشاف الزمخشرى ١٧٦/١

الاحتراس من صور البديع عند الشهاب

قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ)[1].

قال البيضاوى : فلا عجز ولا استقباح فإنك القادر القوى على الثواب والعقاب الذى لا يثيب إلا عن حكمة وصواب.

قال الشهاب : قوله فلا عجز.. إلخ وقع لبعض الطاعنين فى القرآن من الملاحدة أن المناسب ما وقع فى مصحف أبن مسعود - ﷺ – بدل العزيز الحكيم العزيز الغفور، لأنه مقتضى قوله وإن تغفر لهم كما نقله ابن الأنبارى وأجاب عنه لسوء فهمه ظن تعلقه بالشرط الثانى (إن تغفر) فقط لكونه جوابه، وليس كما توهم بفكره الفاسد بل هو متعلق بهما ومن له الفعل والترك عزيز حكيم فهذا أنسب وأدق وأليق بالمقام، وما فى كلام المصنف يمكن إرجاعه إلى هذا، أو هو متعلق بالثانى وأنه احتراس، لأن ترك عقاب الجانى قد يكون لعجز ينافى القدرة، أو لإهمال ينافى الحكمة، فبيّن أن ثوابه وعقابه مع القدرة التامة والحكمة البالغة ولذا قيل : ليس قوله إن تغفر لهم تعريضاً بسؤاله العفو عنهم، وإنما هو لإظهار قدرته على ما يريد وعلى مقتضى حكمه وحكمته، ولذا قال العزيز الحكيم، تنبيها على أنه لا امتناع لأحد عن عزته فلا اعتراض فى حكمه وحكمته ولم يقل الغفور الرحيم وإن اقتضاهما الظاهر. الحاشية ٣٠٦/٣.

هذا ما يسمى بالطباق المرشح وهو الطباق الذى يقترن بلون من الألوان البلاغية الأخرى، وقد اقترن –هنا- بالاحتراس مع الطباق[2]، وقد رأينا الشهاب

---

١)سورة المائدة / ١١٦

٢) تحرير التحبير / ٣٥٧

ينص –هنا- على المحسن البديعى (الاحتراس) باسمه، فضلاً عن أن بالآية مشاكلة تؤخذ من التعبير عن ذات الله بالنفس، لوقوعها فى صحبة مثيل لها.

وقد بيَّن صاحب الحاشية معنى المحسن البديعى المعروف بتجاهل العارف فى قوله تعالى (**قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ**)[1].

قال البيضاوى : لا يخطرونه ببالهم، فضلاً عن أن يخافوا بأسه.

قال الشهاب : إضراب عن مقدر، أى أنهم غير غافلين عن الله لتوسلهم بآلهتهم له، وإنما إعراضهم عن ذكره ليناسب التذكير ويتأتى السؤال وهذا مع وضوحه غفلوا عنه ورد بأن السياق لتجهيلهم والتسجيل عليهم بأنهم ذُكِّروا فيما ذكروا بقوله لا يسمع الصم وما ذكر يقتضى عكسه، وقوله لا يخطرونه ببالهم يعنى أنهم لتوغلهم فى عبادة ألهتهم كأنه تعالى لا يخطر ببالهم فلا يرد عليه أنه لا يبقى حينئذ وجه للسؤال وتضييع عبادة الذكر ويخل ذلك بالمقصود، وقد مرَّ أن الأمر بالسؤال للتسجيل والتجهيل ولعدم انتفاعهم بالذكر نزلوا منزلة المعرضين عنه. الحاشية ٦/٢٥٦.

---

١) سورة الأنبياء/٤٢

التوجيه من الألوان البديعية عند الشهاب

أريد التنويه بادئ ذى بدء أن الشهاب لم يتعرض فى حاشيته لبيان هذا اللون البديعى، أنما يشتمه من تحليلاته ويستخلص منها –لاسيما- لو عدت- أيه القارئ المفضال – لا تعريف التوجيه لدى البلاغيين.

قال تعالى : (أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[1].

قال البيضاوى : (ومعنى الاستعلاء فى على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيئ وركبه.

قال الشهاب : قوله (ومعنى الاستعلاء الخ) الاستعارة فى الحرف بتبعية متعلقه وهو المعنى الكلى الشامل له كما حققوه، فلذا قال معنى الاستعلاء دون معنى على... واعلم أن على هدى محتمل لثلاثة وجوه : الأول : معنى الاستعلاء فى قوله على هدى[2] أما الوجه الثانى : فهو تشبيه هيئة منتزعة من المتقى والهدى وتمسكه به بهيئة منتزعة من الراكب والمركوب واعتلائه عليه فتكون تمثيلية[3]. نعم لا تجرى الاستعارة التمثيلية بالمعنى المشهور فى الحرف فإنها فى مجموع الكلام المركب من ألفاظ متعددة مفصلة بلا تصرف فى الأجزاء[4] أما الوجه الثالث فى على هدى فهو : أن يشبه الهدى بالمركوب فعلى قرينة التخيلية، فهذا زبدة ما ارتضاه المصنف.

---

١) سورة البقرة/٥

٢) حاشية الشهاب على البيضاوى ٢٤٥/١

٣) حاشية الشهاب ٢٤٦/١

٤) حاشية الشهاب ٢٤٧/١

ومن أجل بيان المعنى البديعى فى الآية يقول البيضاوى : ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين – أولئك على هدى... وأولئك هم) بخلاف قوله أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) الأنعام /٥٣.

قال الشهاب : وأما كالأنعام والغافلون وإن اختلفا مفهوماً فقد اتحدا مقصوداً، إذا المراد بالتشبيه بالأنعام المبالغة فى الغفلة، فالجملة الثانية مع مشاركتها للأولى فى المحكوم عليه مؤكدة لها فلا مجال للعطف، فإن قلت : إن أريد الاختلاف والاتحاد بحسب أصل المعنى وباعتبار اللوازم فلا فرق بينهما – قلت : نعم يجوز إجراء كل منهما فيهما إلا أن الأول – العطف – أظهر فى الأول – وأولئك هم المفلحون – والثانى – ترك العطف – أظهر فى الثانى – أولئك هم الغافلون – كما لايخفى[1]. الحاشية ١/٢٥٠-٢٥١.

قال تعالى : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)[2].

قال البيضاوى : مواضع حرث لكم شبهن بها تشبيهاً لما يلقى فى أرحامهن من النطف بالبذور.

قال الشهاب : قوله (مواضع... إلخ) يعنى أنه بتقدير مضاف، أو أطلق الحال على المحل وحمل المشبه به على المشبه كما فى زيد أسد ثم أشار إلى أن هذا التشبيه متفرع على تشبيه النطف الملقاة فى أرحامهن بالبذور، إذ لولا اعتبار ذلك لم يكن بهذا الحسن، فقيل : إنه على الاستعارة بالكناية، لأن فى جعل النساء محارث دلالة على أن النطف بذور على ما أشار إليه بقوله تشبيهاً لما يلقى، وقيل : إنه ليس بجار على قانون البلاغة إلا أن يقال نساؤكم حرث لنطفكم ليكون المشبه

---

١) بذا تبين لنا اختيار الشهاب لوجود المبالغة كلون بديعى فى الآية.

٢) سورة البقرة / ٢٢٣

مصرحاً والمشبه به مكنياً، وقال بعض المتأخرين : إن هذا التشبيه مترتب على تشبيه آخر متروك وهو تشبيه النطف بالبذر ترتب اللازم على الملزوم، ولا يبعد أن يسمى تمثيلاً على سبيل الكناية، والقوم قد غفلوا عن هذا النوع من التمثيل بالبذور.[1] وهذا التشبيه يكاد ينقله التناسب والانسجام عن درجة المجاز إلى الحقيقة، فالحرث هو الأرض التى تحرث للزرع، وكذلك الرحم يُزرع فيه الولد كما يُزرع البذر فى الأرض فبينهما مشابهة من حيث إن كليهما مادة لما يحصل، وقوله إطلاق الحال على المحل يقصد به أن الإباحة لم تقع إلا فى الفرج إذ هو المزدرع[2].

قال تعالى : (**مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً**)[3].

قال البيضاوى : واسمع غير مسمع، أى مدعواً عليك بلا سمعت، أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه، أو اسمع غير مسمع كلاماً ترضاه، أو اسمع كلاماً غير مسمع إياك، لأن أذنك تنبو عنه فيكون مفعولاً به، وراعنا انظرنا نكلمك.

قال الشهاب : أى مدعواً عليك بلا سمعت إلخ يعنى أنه يحتمل الذم والمدح ولذا ذكروه نفاقاً منهم، فالمدح هو الوجه الأخير والذم من وجوه : الأول : أن

---

١)الحاشية ٣٠٨/٢

٢)ينظر : المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطيه الغرناطى ٨١/٢ ت أحمد الملاح ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٩هـ

٣)سورة النساء/٤٦

مسمع متروك المفعول الثانى من غير أن يجعل كناية عن مقيد، والمعنى : اسمع مدعواً عليك بلا سمعت مجاباً فيك هذه الدعوة بحيث يصح أنك غير مسمع يعنى المقصود به الدعاء لئلا يتناقض اسمع وغير مسمع، وقيل : هو حال وحاليته باعتبار أن دعاءهم لما قدروا إجابته صار كأنه واقع مقرر، وأيضاً الدعاء إنشاء لا يقع حالاً فلذا أولوه بما ذكر فافهمه الثانى : إنه متروك المفعول مجعول ذلك المطلق كناية عن المقيد بمفعول مخصوص هو جوابا يوافقك، وإلى ترك المفعول من غير أن يقدر أشار الزمخشرى بقوله غير مجاب إلى ما تدعو إليه، وقوله : فكأنك لم تسمع شيئاً، وهذا مراد المصنف – رحمه الله – بقوله أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه. الثالث : أنه محذوف الفعل المخصوص بقرينة الحال أى غير مسمع كلاماً ترضاه، وجعل الزمخشرى بمعنى : نابياً سمعك عن المسموع لكونه غير مرضى عندك... فالأولى أن غير مسمع فى هذا الوجه –أيضاً- متروك المفعول، لكن لما كان الأمر بالسماع حال كون المخاطب غير مسمع كالمتناقض جعل كونه غير مسمع عبارة عن كونه نابى السمع عن المسموع ولزمه كون المسموع كلاماً لا يرضاه، فصح أن يؤمر بأن يسمع حالة كونه غير مسمع، والمصنف لما حذفه كان إشارة إلى تقدير المفعول بلا اشتباه... وحاصل الوجه الثانى عن الزمخشرى كالمصنف أى اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه بمنزلة من لم يسمع شيئاً، والثالث : اسمع نابى السمع عن المسموع لكونه غير مرضى إذا سمع كلاماً ينبو عنه السمع، ولذلك كان الفرق بينهما ظاهراً، وقوله : وراعنا انظرنا إلخ أى هو مشابه لكلمة سب عندهم إما لأنها من الرعونة، أو لأشياعهم يعنون : راعينا تحقيراً له بأنه بمنزلة خدمهم ورعاة غنمهم، وقوله : نفاقاً فلأنه مما يحتمل الذم والمدح لا ينافى قولهم سمعنا وعصينا، لأنه مجاهرة لانفاق لاحتمال أنهم قالوه فيما بينهم، أو لم يقولوه لكن أشبهت حالهم من بإيهام يقوله، وأيضاً المجاهرة بالعصيان لا تنافى نفاقهم بإبهام الدعاء له وعدم إظهار سبه.

بمراجعة ما ورد فى هذه الآية ندرك توجيه الشهاب – تأسيساً على كلام البيضاوى والزمخشرى – الآراء إلى محسن بديعى هو التوجيه، وقد سبق التعرض له وتعريفه، وقد رأينا الشهاب يعلق على اتفاق المصنف فى الآراء الواردة فى هذه الآية مع الزمخشرى، وقد علق الزمخشرى بقوله : فإن قلت كيف جاءوا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعدما صرحوا، وقالوا : سمعنا وعصينا؟ قلت : جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء، وقد وضح الشهاب معنى المدح والذم فى الآية والذى يراد بالتوجيه فيها[1].

قال تعالى : (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[2] قال البيضاوى : ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة، وإنما المراد بهما أن يحدث فى نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصى واستقباح الإيمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم فى التقليد وإعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق، وأسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم وأبصارهم لا تجتلى الآيات المنصوبة لهم كأنها غطى عليها وحيل بينها وبين الإبصار وسماه على الاستعارة ختماً وتغشية...).

قال الشهاب : قوله على الاستعارة أن الختم استعير من ضرب الخاتم على الأوانى ونحوها لإحداث هيئة فى القلب والسمع تمنع من خلوص الحق إليهما[3].

وبمراجعة الحاشية نرى الشهاب قد قام بعرض كل الآراء والأدلة والرد عليها فى هذه الآية : ١- فقد قيل إن لفظ الغشاوة استعارة تبعية كما فى ختم فكأنهم

---

١) وهو ما وضحه صاحب تفسير غريب القرآن لابن قتيبة/٦٠ ط/دار الكتب العلمية ١٩٧٨م، وصاحب التحرير والتنوير ٧٥/٥.

٢) سورة البقرة / ٧

٣) الحاشية ٢٨٢/١، ٢٨٥-٢٨٦.

جعلوه بمعنى غشى الماضى ويؤيده قراءة النصب على تقدير وجعل على أبصارهم، وهو مخالف لما فى شرح الكشاف من أنه استعارة أصلية لا تبعية باعتبار أن الجملة باقية على اسميتها والنكتة فى تغيير الأسلوب إفادة الدوام والثبوت الذى يقتضيه المقام لما تقرر فى الأصول من أن سبب الإيمان حدوث العالم وتغيره المدرك بالبصر فكل عاقل شاهد بعين الاستيصار والاعتبار استدل به ومن لم يؤمن كأنه لم يبصره لغشاوة خلقية على بصره لظاهر الآية وكلام المنصف ومن حذا حذوه بالنظر للتأويل السابق... ثم يعلق الشهاب أقول : لو كان المقام مقتضياً للثبات والدوام لم يكن لتصديره بالفعلية –هنا- وجه أصلاً، لأن الاستبصار والاعتبار بالقلب، فإذا تجدد لزمه تجدد الختم أيضاً، وأما قراءة النصب على الوجهين فالغشاوة فيها مصدر، فكيف تكون استعارة تبعية بمقتضى النظر السديد.؟ ولو سلم أن المقام يقتضى الثبات فى الجملة الثانية تكون قراءة النصب مخالفة لمقتضى المقام، ومثله من وساوس الأوهام – فالحق أن العدول إنما هو للإيجاز، وأن منشأ الخلاف إنما هو الاسم الجامد إذا أوّل بمشتق هل ينظر لأصله : فتجعل استعارته أصلية، أو لما قصد به لأنه بمعنى الشئ المغشى فتجعل تبعية وبذا نرى الشهاب يوجه الآراء والقراءات وهو ما يعرف لدى البلاغيين بالمحسن البديعى : التوجيه وقد سبق تعريفه أنفاً.

الطباق من صور البديع عند الشهاب

قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ)[1].

يقول البيضاوى : لما ذكر خاصة عباده بصفاتهم التى أهلتهم للهدى عقب بأضدادهم... ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين.

قال الشهاب : قوله : (عقب بأضدادهم.. إلخ) الضد أحد المتقابلين المختلفين اللذين كل واحد منهما قبالة الآخر ولا يجتمعان فى شيئ واحد، وقوله : ولم يعطف قصتهم.. إلخ) فى الكشاف ليس وزان ما هنا وزان نحو قوله : إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم، لأن الأولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وهدايته، وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين فى الغرض والأسلوب، وهما على حد لا مجال فيه للعاطف.

وقد عدّ أهل المعانى التضاد جامعاً يقتضى العطف، لأن الوهم ينزل المتضادين منزلة المتضايفين، فيجتهد فى الجمع بينهما فى الذهن. حاشية الشهاب ١/٢٥٨-٢٦٠.

وقد اتفق البيضاوى – هنا مع الشهاب فى جعل المحسن البديعى فى الآية هو التضاد.

قال تعالى : (وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللهِّ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ

---

١) سورة البقرة / ٦

جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُواْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[1]

قال البيضاوى : لأجل أن إحداهما إن ضلت الشهادة بأن نسيتها ذكرتها)

قال الشهاب : الضلال –هنا- بمعنى النسيان، ويقابله –أى النسيان- التذكر لا الهداية.

قال الزمخشرى : فإن قلت كيف يكون ضلالها مراد الله تعالى، قلت : لما كان الضلال سبباً للاذكار والاذكار مسبباً عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر، لالتباسهما واتصالهما كانت إرادة الضلال المسبب عنه الاذكار إرادة للاذكار، فكأنه قيل : إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت، وتقرير الجواب : أن المراد من الضلال الاذكار، لأن الضلال سبب للاذكار، فأطلق السبب وأراد المسبب، فكأنه قيل : إرادة الاذكار عند الضلال، قال الزجاج : زعم سيبويه والخليل والمحققون أن المعنى : استشهدوا امرأتين لأن تذكر إحداهما الأخرى، ثم سألوا لم جاء أن تضل، وأجابوا بأن الاذكار سببه الضلال، فجاز أن يذكر ويراد الاذكار... ومن قواعدهم أن القيد هو مصب الغرض فصار كأنه علق الإرادة بالاذكار المسبب عن الضلال والمرتب عليه، كما إذا قلت : إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت... وعلى هذا فمراد الزمخشرى هو : ذكر الضلال لم يرد به التعليل بل أريد به بيان سبب التعليل، فقوله : أطلق السبب أى ذكر فى معرض التعليل والإرادة، والمراد : أى الذى تعلقت به الإرادة للتعليل هو المسبب... الحاشية ٢/٣٤٩-٣٥٠.

---

١) سورة البقرة / ٢٨٣

قال تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)[1]

قال البيضاوى : وقد يجعل مقابله الصحة وهو غير مناسب.

قال الشهاب : هذا بحسب الظاهر مخالف لما فى الكشاف وفى العدول عنه إشارة من المصنف إلى عدم ارتضائه، وعبارته هكذا والفساد خروج الشيئ عن حال استقامته وكونه غير منتفع به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة وهكذا هو فى التفسير الكبير... ومقابلة الفساد بالصلاح هو المشهور. الحاشية ٣٢٩/١.

قال البيضاوى : قالوا إنما نحن مصلحون جواب لإذا ورد للناصح على المبالغة[2].

قال الشهاب : ووجه المبالغة ذكر الاسمية المؤكدة المحصورة وهى قوله تعالى (نحن مصلحون) الحاشية ٣٣٠/١.

قال تعالى : (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)[3].

يقول البيضاوى : قلوبهم كانت متألمة تحرقاً على ما فات عنهم... ونفوسهم كانت مؤفة بالكفر.

قال الشهاب : قوله نفوسهم إلخ بيان للمجاز على اللف والنشر المرتب. الحاشية ٣٢٠/١.

بذا يتضح لنا رأى الزمخشرى فى هذه الآية وهو النص على المجازية فيها، وهو ما أكده الشهاب بقوله : وقد غفل عن هذا من توهم أن صاحب الكشاف قائل

---

١)سورة البقرة / ١١

٢)لقد رأينا الشهاب وهو يبين وجهى البديع فى الآية وهما : المقابلة والمبالغة.

٣) سورة البقرة /١٠

بما ذهب إليه المصنف، إذ يذهب البيضاوى –كما علمت- إلى الجمع بين الحقيقة والمجاز – ينظر الحاشية ٣٢٠/١ وهى استعارة تكشف عن معاناة نفسيه رهيبة لا تقل عن معاناة أصحاب العلل الجسدية، ويعلق الرضى (إنما سمى اعتقاد الكفر مرضا لخروجهم عن صحة الدين كما أن المرض يخرج الأجسام عن صحتها[١]، تراه وقد شبه الشك فى قلوبهم بالمرض، ثم استعار المرض للشك على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، وللإيحاء بأنهم فى غير الطبيعة السوية، مع ملاحظة أن المستعار اسم معنى لكنه فى التصور لا يقل عن المحسوسات فى شيئ، بل قد يفوقها فى إدراك أثره من جهة الحاسة والعقل والوجدان.

قال تعالى : (**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ**)[٢].

قال البيضاوى : وإنما فصلت الآية بلا يعلمون والتى قبلها بلا يشعرون لأنه أكثر طباقاً.

قال الشهاب : قوله وإنما فصلت إلخ) أطلق فى الاصطلاح البديعى على الجمع بين المتضادين لتقابلهما فى الجملة.. ولما كان فى السفه جهلاً ذكر العلم معه فيكون قد جمع بين متضادين، فالطباق بديعى، وقيل : المراد لا يعلمون لتناسب عدم العلم والسفاهة فهو لغوى يرجع إلى مراعاة النظير، قال الطيبى هو من باب المطابقة المعنوية. الحاشية ٣٣٨/١.

---

١)ينظر تلخيص البيان فى مجازات القرآن للشريف الراضى ٣/ طبعة طهران / ١٤٠٧ هـ.

٢) سورة البقرة /١٣

المشاكله من صور البديع لدى الشهاب

قال تعالى (يُخَادِعُونَ اللهَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ)[1].

قال البيضاوى : (وخداعهم مع الله –سبحانه وتعالى– ليس على ظاهره، لأنه لا يخفى عليه خافية، ولأنهم لم يقصدوا خديعته..).

قال الشهاب : قوله : (لا يخفى عليه خافية الخ) لما اقتضت المفاعلة (المخادعة) وقوع الخداع من الجانبين، وكل منهما غير مراد وغير مستقيم أما الثانى فظاهر (خداع الله للمنافقين) وأما الأول (خداع المنافقين لله) فلأنه لا يخفى عليه خافية فكيف يخدعه غيره؟! وبهذا نرى أن العلماء قد وجدوا فى المجاز مخرجاً لتأويل صفات لا يليق ظاهرها بالله تعالى – الحاشية ٣١٦/١.

قال الشهاب : وقد اختلف شراح الكشاف فى المراد بالخداع فقيل : إنه مشاكلة أى لما كان خداع أنفسهم بمعنى إيصال الضرر إليها مسبباً عن تلك المخادعة المشبهة بمعاملة المخادعين ومصاحباً لها جاء باللفظ على اللفظ، ولا يخفى أن كون المشاكل والمشاكل مجازاً بعيد جداً. الحاشية ٣١٥/١.

ثم إن من الشراح من قال : إنه على طريقة التجريد مثل ما يجرى بين المرء ونفسه من تحديث كل منهما صاحبه بالأحاديث فيجردون من أنفسهم أشخاصاً يخادعونهم كما يخادعون الغير ويخاطبونهم. الحاشية ٣١٧/١.

قال تعالى : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهَّ فَإِنِ انتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ)[2]

---

١) سورة البقرة / ٩

٢) سورة البقرة / ١٩٣

قال البيضاوى : فلا تعتدوا على المنتهين، وسمى جزاء الظلم باسمه للمشاكلة.

قال الشهاب : قوله : (فلا تعتدوا إلخ أى لا عدوان ثابت على قوم إلا على الظالمين، ولما كان فى ترتب الجزاء على الشرط نوع خفاء، إذ الظاهر فلا عدوان عليهم ذكر له ثلاثة معان : الأول : أنه كناية عن النهى عن العدوان على المنتهين، أى العدوان مختص بالظالمين، والمنتهون ليسوا بظالمين فلا تعتدوا عليهم الثانى : أنه مشاكلة بتسمية جزاء العدوان عدوانا، أى لا تظلموا إلا الظالمين. دون المنتهين أى لا تفعلوا ما هو فى صورة الظلم مجازاة له بمثله إلا مع الظالمين، ففى الوجهين القصد إلى النهى مجازاً أو كناية، لكن النهى فى الأول عن قتال المنتهين لكونه ظلماً حقيقة، وفى الثانى عن مجازاة غير الظالمين بما هو فى صورة الظلم بالنسبة إلى الظالمين، الثالث : أن المذكور سبب للجزاء، أى إن انتهوا فلا تتعرضوا لهم لئلا تكونوا ظالمين، فيسلط الله عليكم من يعدو عليكم، لأن العدوان لا يكون إلا على الظالمين، أو المراد أنه كناية على معنى ان انتهوا يسلط الله عليكم من يعد وعليكم، على تقدير : تعرضكم لهم بصيرورتكم ظالمين بذلك، وقيل فى المشاكلة أنه سمى جزاء الظلم ظلماً، وأن كان عدلاً من المجازى لكونه ظلماً فى حق الظالم من عنده نفسه، لأنه ظلم نفسه بالنسبة لإلحاق الجزاء به.[1]

١) حاشية الشهاب ٢٨٦/٢

الارصاد والتسهيم من ألوان البديع عند الشهاب

قال تعالى :(وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)[1].

قال البيضاوى : وسمى الثانية سيئة للازدواج، أو لأنها تسوء من تنزل به.

قال الشهاب : إن المنتصر ربما تجاوز الحد فبيَّن بقوله وجزاء سيئة إلخ أن الانتصار المحمود مالا يتعدى الحدود، وقوله : وسمى الثانية سيئة.. إلخ أى المشاكلة بيان لوجه تسمية كل من الإصابة للبغى وجزائها وهو الانتصار سيئة، مع أن الجزاء ليس بسيئة فى نفسها، فإما أن يكون تسمية الجزاء سيئة للمشاكلة، أو هما على حقيقتهما مبالغة لأن كلاً منهما يسوء من نزلت به[2]. الحاشية ٤٢٦/٧.

قال تعالى : (وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ)[3].

قال البيضاوى : المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين فى الانتقام.

قال الشهاب : قوله (المبتدئين.. إلخ إشارة إلى دفع ما يتوهم من إنه كان الظاهر أن يقال إن الله يحب المحسنين أو المقسطين بأن هذا أنسب إذ المقصود منه الحث على العفو، لأن المجازى إذا زاد وتجاوز حقه كان ظالماً والمساواة من كل الوجوه متعذرة أو متعسرة، ولما فيه من الإيماء إلى أن مشاتمة القبيح قبح وما هو على صورته لا يحب. الحاشية ٤٢٦/٧.

---

١) سورة الشورى/٤٠

٢) وعبر عن المجازاة بلفظ السيئة لوقوعها فى صحبتها.

٣)سورة الشورى/٤١

جاءت هذه الآية وما قبلها لبيان أن الانتصار للمؤمنين فى حالة البغى عليهم أمر مشروع لهم، لأنهم يغضبون لله لا للحمية الجاهلية ولعزة أنفسهم وكراهتهم للتذلل، فالعفو منهم عن العاجز المعترف بجرمه محمود، والانتصار من المخاصم المصر محمود، وفى هذه الآية محسن بديعى يعرف بالإرصاد والتسهيم وهو : أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز، ومنه الرصد : وهم القوم يرصدون كالحرس.

الفصل الثانى من الدراسة التطبيقية

كثافة الألوان البديعية عند الشهاب فى النص الواحد

قال تعالى : (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ)[1].

قال البيضاوى : فله أن يقسم النعمة والبلية كيف يشاء، يفعل ما يفعل بحكمة واختيار.

قال الشهاب : قوله : فله أن يقسم... إلخ إشارة لوجه تعقيبه لما قبله، بأنه لما ذكر إذاقته الرحمة وإصابته بضدها أتبعه بأنه المالك للموجودات كلها فله أن يقسم النعمة والبلاء كما يشاء بحكمته لا كما شاءه سواه بهواه، وفيه إشارة على أن إذاقة الرحمة ليست للفرح بل لشكر موليها، وإصابة المحنة ليست للجزع بل للرجوع إلى مجليها، وبنى عليها ما بعده.... وقوله : وتغيير العاطف فى الثالث... إلخ إذا عطف بأو دون غيره، والمشترك بين القسمين الأولين (هبة الإناث وهبة الذكور) هو الانفراد بأحد الصنفين وهذا مقابله، لأنه الجمع بينهما (التزويج بالذكور والإناث) فلو عطف بالواو توهم أنه قسم لكل من القسمين دون المشترك بينهما. وقوله بحكمة واختيار إلخ لف ونشر مرتب، فالحكمة لعلمه بالأشياء وما فيها من المصالح والاختيار لقدرته على إيجاد ما يريد[2].

---

١)سورة الشورى / ٥٠

٢)الحاشية ٤٢٩/٧

وبذا نرى هذه الآية تندرج فى إطار ما يسمى بالتقسيم وهو : أن يجمع بين متعدد فى حكم ثم يفرق، أى يوقع التباين بينها ثم يضيف لكل واحد ما يناسبه، فضلاً عن استيفائه – هنا – لجميع أقسام الشيئ فى قوله (يخلق ما يشاء).

قال تعالى : (**لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**)[1].

قال البيضاوى : الإبصار حاسة النظر...

قال الشهاب : قوله : فيدرك ما لا تدركه الأبصار، فهذه الجملة سيقت لوصفه تعالى بما تضمن تعليل قوله وهو يدرك الأبصار، وقوله يجوز أن يكون من باب اللف إلخ فإن اللطيف يناسب كونه غير مدرك بالفتح والخبير يناسب كونه مدركاً بالكسر. وقيل اللطيف العليم بالغوامض والدقائق من المعانى، ويحتمل أن يكون من اللطافة المقابلة للكثافة وهو وإن كان فى ظاهر الاستعمال من أوصاف الجسم لكن اللطافة المطلقة لا توجد فى الجسم لإن الجسمية يلزمها الكثافة وإنما لطافتها بالإضافة، فاللطافة المطلقة لا يبعد أن يوصف بها النور المطلق الذى يجل عن إدراك البصائر، فضلاً عن الأبصار ويعز عن شعور الأسرار فضلاً عن الأفكار، فإن كمال اللطافة إنما يكون لمن هذا شأنه، ووصف الغير بها لا يكون على الإطلاق وقوله : فيكون اللطيف مستعاراً من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها.. إلخ أى شبه به الخفى عن الإدراك فاندفع ما قيل إن المناسب لعدم الإدراك اللطيف المشتق من اللطافة، وهو ليس بمراد هنا، وأما اللطيف المشتق من اللطف بمعنى الرأفة فلا يظهر له مناسبة هنا[2]. ومما يذكر للشهاب نصه –هنا- على محسنين بديعين فى أن واحد مع تفنيده لعلة كليهما كما حدث منه فى بيان اللف والنشر فى مناسبة اللطيف لكونه غير مدرك بالفتح،

---

١)سورة الأنعام /١٠٣

٢) حاشية الشهاب ١٠٩/٤

وبمناسبة الخبير لكونه غير مدركه بالكسر، وكما حدث فى بيانه لتشابه الأطراف، فالآية قد ختمت بما يناسب أولها، فاللطيف عدم إدراك الأبصار له، والخبير يناسب كونه مدركاً للأبصار.

قال تعالى : (وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ)[1].

قال البيضاوى : ليس عليك حساب إيمانهم، فلعل إيمانهم عند الله أعظم من إيمان من تطردهم بسؤالهم طمعاً فى إيمانهم لو آمنوا، وليس عليك اعتبار بواطنهم وإخلاصهم... فإن كان لهم باطن غير مرضى كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم إليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم.

قال الشهاب : قوله ما عليك.. إلخ يشير إلى تقدير مضاف، أو إلى أنه المراد من النظم أو أن الإضافة إليهم للملابسة المذكورة، وأن حساب الإيمان إما بحسب المقدار أو بحسب الإخلاص، والضمير على هذا للمؤمنين كما يعلم من مقابله، ويجوز أن يكون الضمير للمشركين وضمير تطردهم للمؤمنين، وقوله : فحسابهم إلخ هذا بعينه ما ارتضاه الزمخشرى وأن الجملتين – ما عليك من حسابهم... وما من حسابك عليهم – فى معنى جملة واحدة تؤدى مؤدى (ولا تزر وازرة وزر أخرى، وأنه لابد منهما.. وفى النظم رد العجز على الصدر[2] وقوله على وجه التسبب وفيه نظر : وفى قوله : (فتطردهم) وجهان : أحدهما النصب على جواب

---

١)سورة الأنعام /٥٢

٢) ويسمى أى رد العجز بالتصدير –أيضاً- وهو أن يأتى أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بالمتجانسين فى أول الفقرة والآخر فى آخرها تنظر حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص ٤٣٤/٤ وقد أشاد به جمع من العلماء كأبى هلال العسكرى حين قال (إن لرد الأعجاز على الصدور موقعاً جليلاً فى البلاغة، وله فى المنظوم محلاً خطيراً. ينظر الصناعتين / ٤٠٠

النفى بأحد معنيين فقط وهو انتفاء الطرد لانتفاء كون حسابهم عليه وحسابه عليهم لأنه ينتفى المسبب بانتفاء سببه، أى ما يكون منك مؤاخذة كل واحد بحسابه فكيف يقع منك طرد، وهم وإن أطلقوا قولهم منصوب على الجواب فمرادهم هذا... قال الطيبى وجه النظر الذى ذكره المصنف أن قوله ما عليك من حسابهم حينئذ مؤذن بأن عدم الظلم لعدم تفويض الحساب إليه، فيفهم منه أنه لو كان حسابهم عليه وطردهم لكان ظالماً وليس كذلك، لأن الظلم وضع الشيئ فى غير موضعه وأجاب عنه بأن المراد به المبالغة فى معنى الطرد يعنى : لو قدر تفويض الحساب إليك ليصح منك طردهم لم يصح أيضاً فكيف والحساب ليس إليك[1]، وأما جعله مترتباً على نفس الطرد بلا اعتبار كونه مترتباً على المنفى ومنتفياً بانتفائه فيفوت وجود سببية النصب، ويمكن أن يكون فتطردهم جواباً للنهى... فالجائز وجهان[2] أحبهما الأول لا الثانى، إذ كلاهما لا يناسب أن يجاب لأنه يصير معناه : ما عليك كل منهم فتطردهم فيناسب، وإن أجيب بالثانى صار المعنى : مالك كل عليهم فتطردهم، فمفهومه : إن كانوا يحملون عنك كان طردك إياهم حسناً وهو خلق لا يجوز حمل القرآن عليه[3]. الحاشية ٦٨/٤.

بمراجعة كلام الشهاب الوارد بصدد هذه الآية ندرج حسن تفعيله لوجود أكثر من محسن : هو يبدو فى توجيه للضمير باعتبارات مختلفة، وذكر الأوجه الواردة عليه، وهو ما يعرف لدى البلاغيين بالأبهام أو التوجيه وهو أيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين، ومصطلح التوجيه من مصطلحات السكاكى، وقد أطلق عليه الرازى قبله المحتمل للمضادتين، أطف إلى هذا موافقته لما ذكره الزمخشرى

١)حاشية الشهاب ٦٨/٤.

٢)ويمكن أن يكون الآية فى وجه جديد يعرف بالإبهام كما سماه ابن أبى الاصبع أو بالموجه، وهو : إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين ينظر : دراسات فى علم البديع أ.د. عبده زايد/٢٧١ مطبعة الأمانة ١٩٨٦م.

٣) وقد رأينا الشهاب يحسن توجيه الآراء بل ويفضل أحدها على الآخر، وهذا ليس بالجديد عليه، فضلاً عن نفيه التوجيه المنافى لأخلاق القرآن.

لاخضاع النص لرد العجز على الصدر، فضلا عن بيان المراد من قوله (ما عليك ما حسابهم) وتوجيهه إلى بيان المبلاغة فيه، تاكيد منه على أستبعاد التوجيه المنافى لأخلاق القرآن.

قال تعالى : (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)(١).

قال البيضاوى : والريب فى الأصل : مصدر رابنى الشيئ إذا حصل فيك الريبة، وهو قلق النفس واضطرا بها سمى به الشك.

قال الشهاب : قوله : (والريب فى الأصل) أى هذا معناه فى أصل اللغة ثم استعمل فى الشك والكذب والتهمة، وهو مصدر أيضا لكنه بحسب أصل اللغة مجاز من استعمال المسبب فى السبب... قال الراغب : الشك هو : وقوف النفس بين شيئين متقابلين بحيث لا يترجح أحدهما على الآخر بأمارة، والريب : أن يتوهم فى الشئ أمر ما ثم ينكشف عما توهم فيه، ويقال الشك لما استوى فيه الاعتقادان أولم يستويا ولكن لم ينته أحدهما لدرجة الظهور الذى تبنى عليه الأمور، والريب لما لم يبلغ درجة اليقين وإن ظهر نوع ظهور، وقوله سمى به الشك أنه حقيقة فى معنى الشك... لذا قال أرباب الحواشى أن المصنف أراد أنه عدل به عن معناه المصدرى واستعمل فى معنى الشك مجازاً بعلاقة السببية بذكر المسبب وإرادة السبب، ولو أريد معناه الأصلى لقيل لا ريب له، فسمى –هنا- بمعنى استعمل وهو كثيراً ما يستعمل بهذا المعنى... وقيل عليه : إن القرآن لا يتوهم أن يكون رائباً حتى يقال لا ريب له، بل لو كان مصدراً كان الواجب لا ريب فيه، وهو على كل حال مصدر، لأنه تجوز فى فعله أيضاً، وهذا من عدم

١)سورة البقرة / ٢

الوقوف على مراده، فإن مراده بالمصدر –هنا- المصدر الحقيقى أى القلق.... وفيه إشارة إلى أنه مجاز فى الأصل صار حقيقة فى الاستعمال وعرف اللغة.[1]

ثم يوضح رأيه فيما فيه من ألوان بديعية :

يقول البيضاوى : هدى للمتقين بما يقدر له، وهى تؤكد كونه حقاً لا يحوم الشك حوله.

يقول الشهاب : وقوله : لا يحوم الشك حوله مبالغة فى كونه يقيناً لا تعتريه شبهة أصلاً، لأنه إذا نفى قربه منه علم نفيه عنه بالطريق الأولى. الحاشية ٢٠٣/١.

وفى مقام آخر نرى الشهاب يبين لوناً بديعياً آخر فى الآية فيقول : (إذا قصد الاستدلال والاستنتاج فلا بد من حرف التفريع، ولم يقصد هنا بل قصد الإخبار بكل جملة استقلالاً، إلا أنه كان كل لاحق نتيجة للسابق فلهذا لم يحسن العطف لعدم صحة عطف النتيجة على الدليل، ولما لم يقصد الاستدلال لم يكن لإيراد حرف التفريع معنى، ولا يخفى ما فيه من الخبط والخلط فعليك بعض النواجذ على ما قدمناه والمراد بالاستدلال –هنا- الاستلزام، وفى اصطلاح أهل البديع أن يساق الكلام لمدح ونحوه ثم يلوح به لمعان أخر[2].

والشهاب فى هذه الآية ينص على وجود محسنيين بديعيين أولهما : الاستدلال أو الاستلزام، والثانى التفريع وهو جعل الشيئ فرعاً لغيره، وهو أن يثبت لمتعلق أمر محكوم به على شيئ بينه وبين أمر آخر نسبة وتعلق بعد أن يثبت ذلك الحكم لمنسوب آخر لذلك الأمر.

---

١) حاشية الشهاب ١٨٩/١-١٩٠

٢)الحاشية ٢٠٤/١.

قال تعالى : (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)[1]

قال البيضاوى : يقيمون : أى يعدِّلون أركانها ويحفظونها من أن يقع زيغ فى أفعالها من أقام العود إذا قوَّمه، أو يواظبون عليها : من قامت السوق إذا نفقت، وأقمتها : جعلتها نافقة... فإنه إذا حُوفظ عليها كانت كالنافق الذى يرغب فيه، وإذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه، أو يتشمرون لأدائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالأمر وأقامه إذا جدَّ وتجلد.

قال الشهاب فُسِّرت الإقامة بأربعة أوجه، وهى كما فى شروح الكشاف على الأولين استعارة تبعية، وعلى الأخيرين مجاز مرسل، وقيل : هى فى بعض الوجوه كناية، وستسمع ذلك وماله وعليه.....

وفى سبيل توضيح الألوان البديعية فى قوله تعالى (**يؤمنون**) يقول البيضاوى : إن فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو أصل الأعمال وأساس الحسنات.

قال الشهاب : قوله : (لاشتماله.. إلخ) قيل : إن الإيمان بيان لأساس الحسنات، والصلاة والصدقة بيان للاصل بمعنى الأم على اللف والنشر غير المرتب... ولا يخفى أنه خفى مشوش، وعلى هذا فالأساس مغاير للأصل. الحاشية ٢٠٧/١-٢٠٨.

وفى سبيل بيان معنى بديعى آخر فى (يؤمنون بالغيب) يقول الشهاب قول البيضاوى وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف، أى يدل عليه ضمناً وبمعنى التضمين المصطلح عليه... والتضمين المصطلح كما قال السيد السند أن يقصد بلفظ فعل معناه الحقيقى ويلاحظ معه معنى فعل آخر يناسبه ويدل عليه بذكر صلته، وفائدة التضمين إعطاء مجموع المعنيين. الحاشية ٢١١/١.

---

١) سورة البقرة/ ٣

وقد استتبع بمعنى ثالث فى قوله تعالى (**يؤمنون بالغيب**) ألا وهو السجع، ومضى الشهاب يستعرض رأى المصنف فى وجود السجع فى القرآن من عدمه بذكر آراء المؤيدين والمعارضين ثم علق (أقول : أطال بلا طائل – أى المصنف – لتوهمه أن القرآن كالشعر، لا لتزام تقفيته ينافى جزالة المعنى وبلاغته، لاستتباعه للحشو المخل، وأن الإعجاز بمخالفته لأساليب الكلام، والحق أنه – أى السجع – فى القرآن من غير التزام له فى الأكثر، وكأن من نفاه نفى التزامه أو أكثريته، ومن أثبته أراد وروده فيه فى الجملة. فاحفظه ولا تلتفت لما سواه، والذى عليه العلماء أنه تطلق الفواصل عليه دون السجع[1].

نرى الشهاب وهو يعرض رأيه واضحاً فى وجود السجع فى القرآن بعد عرضه لرأى البيضاوى ومخالفته فى هذا الرأى وتأكيده على تسمية السجع بالفواصل، وأنه يأتى فى القرآن شريطة أن يكون من غير التزام فى الأكثر، وهو برأيه هذا فى عدم إطلاق السجع يتبع الرمانى والباقلانى، رغبة منه فى تنزيه القرآن عن التصريح بما أصله فى الحمام التى هى من الدواب العجم، إذ السجع أصله هو هدير الحمام ثم نقل إلى هذا المعنى، أما تسمية ما جاء على صورة السجع بالفواصل، فلقوله تعالى (**الر- كتاب أحكمت آياته ثم فصلت...**) سورة هود/١، وقوله تعالى (**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**) سورة الأنعام/١٢٦، يقول الرمانى (والفواصل بلاغة والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعانى، وأما الأسجاع فالمعانى تابعة لها وهو قلب ما توجبه الحكمة فى الدلالة إذا كان الغرض الذى هو حكمه إنما هو الإيانة عن المعانى التى الحاجة إليها ماسة)[2] ويقول الباقلانى (لو كان الذى فى القرآن سجعاً لكان مذموماً مرذولاً، لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه

---

١) حاشية الشهاب ٢٣٠/١

٢)ينظر : ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن /٥٧-٦٤.

واختلفت طرقه كان قبيحاً من الكلام، وقد علمنا ما يدعونه سجعاً متقارب الفواصل متدانى المقاطع، وبعضها يمتد حتى يتضاعف طوله عليه.... وهذا فى السجع غير مرضى ولا محمود)[1]، وقد رد عليهم صاحب سر الفصاحة بقوله (أظن أن الذى دعا أصحابنا إلى تسمية كل ما فى القرآن فواصل رغبتهم فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم، والحق أنه لا فرق بين مشاركة القرآن لغيره من الكلام فى كونه مسجوعاً وبين مشاركة جميعه فى كونه صوتاً وحروفاً وكلاماً عربياً مؤلفاً[2].

قال تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)[3]

قال البيضاوى : وقد يجعل مقابله الصحة وهو غير مناسب.

قال الشهاب : هذا بحسب الظاهر مخالف لما فى الكشاف وفى العدول عنه إشارة من المصنف إلى عدم ارتضائه، وعبارته هكذا والفساد خروج الشيئ عن حال استقامته وكونه غير منتفع به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة وهكذا هو فى التفسير الكبير... ومقابلة الفساد بالصلاح هو المشهور. الحاشية ٣٢٩/١.

قال البيضاوى : قالوا إنما نحن مصلحون جواب لإذا ورد للناصح على المبالغة[4].

قال الشهاب : ووجه المبالغة ذكر الاسمية المؤكدة المحصورة وهى قوله تعالى (نحن مصلحون) الحاشية ٣٣٠/١.

---

١) ينظر : إعجاز القرآن /٥٩

٢) ينظر سر الفصاحة ٢٠١-٢٠٤

٣) سورة البقرة / ١١

٤) لقد رأينا الشهاب وهو يبين وجهى البديع فى الآية وهما : المقابلة والمبالغة.

قال تعالى : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ)[١].

قال البيضاوى : اختاروها عليه واستبدلوها به، وأصله : بذ الثمن ثم استعير للإعراض عما فى يده محصلاً به غيره...) والمعنى : أخلوا بالهدى الذى جعل الله لهم بالفطرة. قال الشهاب: (قوله : اختاروها...الخ) أدخل الاستبدال على المتروك الذى كأنه كان فى يده فتركه، وعدّى الاشتراء بنفسه للمأخوذ المختار[٢].

وقد عقب الشهاب على جعل الهدى حقيقة أو مجازا : بأنه فيه توقف من الفحول[٣]، إلا أنه بقى هنا أمور فيها : أن حقيقة الاشتراء استبدال عين بعين على جهة العوضية المعروفة، فلو تجوز به ابتداء عن اختيار أمر على آخر لأنه لازم له أو مشابه له من غير توسيع للدائرة وتطويل للمسافة كما فعله الزمخشرى كان أهون وأحسن[٤].

وقوله : (فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز، لما استعمل الاشتراء فى معاملتهم أتبعه ما يشاكله تمثيلاً لخسارهم، أى المقصود الأصلى من الترشيح فى

---

١) سورة البقرة / ١٦ وقد عدها ابن ابى الأصبع من أجل الاستعارات ينظر : تحرير التحبير لابن ابى الإصبع / ٩٩ تحقيق د. حفنى شرف.

٢) أكثر البلاغيين يعترفون بما فى الاستعارة المكنية من تقدير نفسى، وما فيها من ادعاء وتخييل يكمن فى أن المشبه فى المكنية صار هو عين المشبه به، ومن هنا حدث الادعاء، فضلاً عن أننا نجد الزمخشرى – هنا – وفى كثير من الاستعارات المكنية يحاول بعد عرض المناقشات والتحليلات يخرجها على الاستعارة التمثيلية فى التركيب، معتمداً فى هذا لفتة ذكية استقاها من ركام القدماء، وهى إمكان أن يعبر عن الصورة التمثيلية المركبة بلفظ مفرد يدل على تلك الصورة. ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٧٥/١ والبلاغة التطبيقية د. أحمد أحمد موسى / ٢٠٤ مطبعة المعرفة ١٩٦٣م.

٣) حاشية الشهاب ٣٥٧/١

٤) حاشية الشهاب ٣٥٨/١ يقول الرضى : وإنما أطلق سبحانه على أعمالهم اسم التجارة لما جاء فى أول الآية بلفظ الشراء، تأليفاً لجواهر النظام وملاحمة بين أعضاء الكلام ينظر : تلخيص البيان فى مجازات القرآن ٤١ طبعة طهران

الآية تصويراً لما فاتهم من نفع الهدى بصورة خسار التجار حتى كأنه هو بعينه مبالغة فى تخسيرهم فى هذا الاستبدال، ووقوعهم فى أشنع الخسار الذى يتحاشى عنه أولو الأبصار، لا تصوير الاستبدال بصورة التجار فإنه وسيلة إلى ذلك المقصود، ثم إنهم قالوا : إن عدم الربح جعل كناية عن الخسران، لأنه وإن كان أعم منه، إلا أن التجارة تستلزم غالباً عملاً وإتلافاً، فإن لم يربح لم يخل من الخسران، لإن المال غاد ورائح معدّ لآفة النقصان، فإن لم يربح لم يخل من الخسران، لإن مالهم الهداية وقد استبدلوها بالضلالة فقد فقدوا رأس مالهم، فضلاً عن الخسران، قلت : هذا بناء على أنهم عدّوا ماناله فى الدنيا عوضاً عنه، أو أنه اكتفى فى توبيخهم بالخسران فكيف ما هم عليه من عدم رأس المال[1].

وأرى أن هذا التخريج يحمل الآية على المشاكلة، وإن لم يكن قد تقدم لفظ البيع أو الشراء، لأن قرينة الترشيح فما ربحت دلت على ذلك، ويؤيده قرينة الحال الذى هم عليه من رغبة عن الهدى طمعاً فى علو أمرهم ونفاق نفاقهم واختاروه فاشتروا على هذا مجازا، وحاصل معناه كما ذكره البيضاوى مع متعلقاته هو تركهم الهداية مائلين عنها إلى الضلالة والغواية. الحاشية ١/٣٥٤-٣٦٢.

قال تعالى : **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)**[2].

قال البيضاوى : وسمى الثانية سيئة للازدواج، أو لأنها تسوء من تنزل به.

قال الشهاب : إن المنتصر ربما تجاوز الحد فبيَّن بقوله وجزاء سيئة إلخ أن الانتصار المحمود مالا يتعدى الحدود، وقوله : وسمى الثانية سيئة.. إلخ أى

---

١) من هنا نعلم أن الترشيح يكثر فى الشعر لمناسبة ما فى الشعر من مبالغة وإبهام ويندر فى القرآن الكريم لقلة المبالغة إلا عندما يحتاج المعنى مزيداً من التوضيح كما هنا

٢)سورة الشورى/٤٠

المشاكلة بيان لوجه تسمية كل من الإصابة للبغى وجزائها وهو الانتصار سيئة، مع أن الجزاء ليس بسيئة فى نفسها، فإما أن يكون تسمية الجزاء سيئة للمشاكلة، أو هما على حقيقتهما مبالغة لأن كلاً منهما يسوء من نزلت به[1]. الحاشية ٤٢٦/٧.

قال تعالى (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ)[2]

قال البيضاوى : (وخداعهم مع الله –سبحانه وتعالى – ليس على ظاهره، لأنه لا يخفى عليه خافية، ولأنهم لم يقصدوا خديعته..).

قال الشهاب : قوله : (لا يخفى عليه خافية الخ) لما اقتضت المفاعلة (المخادعة) وقوع الخداع من الجانبين، وكل منهما غير مراد وغير مستقيم أما الثانى فظاهر (خداع الله للمنافقين) وأما الأول (خداع المنافقين لله) فلأنه لا يخفى عليه خافية فكيف يخدعه غيره؟! وبهذا نرى أن العلماء قد وجدوا فى المجاز مخرجاً لتأويل صفات لا يليق ظاهرها بالله تعالى – الحاشية ٣١٦/١.

قال الشهاب : وقد اختلف شراح الكشاف فى المراد بالخداع فقيل : إنه مشاكلة أى لما كان خداع أنفسهم بمعنى إيصال الضرر إليها مسبباً عن تلك المخادعة المشبهة بمعاملة المخادعين ومصاحباً لها جاء باللفظ على اللفظ، ولا يخفى أن كون المشاكل والمشاكل مجازاً بعيد جداً. الحاشية ٣١٥/١.

ثم إن من الشراح من قال : إنه على طريقة التجريد مثل ما يجرى بين المرء ونفسه من تحديث كل منهما صاحبه بالأحاديث فيجردون من أنفسهم أشخاصاً يخادعونهم كما يخادعون الغير ويخاطبونهم. الحاشية ٣١٧/١.

---

١)وعبر عن المجازاة بلفظ السيئة لوقوعها فى صحبتها.

٢)سورة البقرة / ٩

وبهذا نرى فى حاشية الشهاب ثلاثة ألوان بديعية للفظ واحد هو لفظ (يخادعون) منها المشاكلة والتجريد وقد سبق التعرض لهما وتوضيحهما فليعد إليه القارئ الكريم إن شاء.

الخاتمــة

بعد هذه التطوافة بين أفياء المصادر البلاغية وحواشيها توصلنا بفضل الله إلى بعض النتائج منها :

١) وجدنا الشهاب عند تصديه للآيات المصحوبة بفن السجع يعرض رأيه فيه بصراحة، وهو وجود السجع فى القرآن بشرط أن يكون من غير التزام له فى الأكثر، مع تأكيده على تسمية السجع بالفاصلة، وقد عرضناه مع بيان السبب الداعى إلى ذلك بوضوح أثناء البحث، فليعد إليه القارئ الكريم إن شاء.

٢) الشهاب له تعليقات عديدة تنبئ عن خبرته ودرايته بأصول علمه، وكثيراً ما عُرضت عقب الآراء كقوله عقب تأويل قوله تعالى (لا ريب فيه) وهذا من عدم الوقوف على مراده، وكقوله : ولا يخفى ما فيه من الخلط والتخبط فى تأويل قوله (لا تفسدوا فى الأرض) وكقوله : وفيه توقف من الفحول كما فى قوله تعالى (اشتروا الضلالة) وكقوله فى تأويل قوله تعالى (إن الله لا يستحى) لكل جواد كبوة عقب حديثه عن قول الزمخشرى فى الانتصاف فى تأويلها، وكقوله فيه أيضاً خبط غنىّ عن البيان، وهذا غفلة منهم عن كونه بياناً غير حقيقى على سبيل التجريد، فى تأويل قوله تعالى (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود). وكقوله (وهذا ما منَّ الله به علينا فا حفظه فإنك لا تجده فى غير كتابنا هذا كما فى الحاشية ٦٩/٤ بعد تحليله لقوله تعالى (وكذلك فتنا بعضهم) وكما فى قوله تعالى : وإن تصبهم سيئة فى الحاشية ٢٠٧/٤ حين علق قائلاً (فافهمه فإنه من المضايق) وكما فى قوله تعالى : (**إن تعذبهم فإنهم عبادك**) الحاشية ٣٠٦/٣ حين علق قائلاً : كما نقله ابن الأنبارى وأجاب عنه لسوء فهمه وكما حدث فى تفرقته بين الاستطراد والاعتراض فى تأويل قوله تعالى (**وما يستوى البحران**) الحاشية ٢٢٠/٧.

٣) وجدناه يعقد الكثير من المقارنات والمتناظرات بين كثير من تأويلات

العلماء، ويختمها بتفضيل واحد منها على ما عداه، كما حدث منه فى تأويل قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم...) بقوله : (ما حققه تبعاً لما فى الكشف تحقيق حقيق بالقبول، وكتعليقه بقوله : وقد أشار شراح الكشاف إلى أنه لا يصح إرادة المعنى الحقيقى، وهو الحق الحقيق بالقبول رواية ودراية فى تعليقه على تفسير قوله تعالى (فى قلوبهم مرض) وكقوله : ومن لم يتنبه لهذا اغترَّ بقول بعض شراح الكشاف وتوهم اتحاد كلام المصنف مع كلامهم، وهذا هو غير الحقيقة فى تعرضه لتفسير قوله تعالى (الله يستهزئ) وكقوله : وهذا زبدة ما ارتضاه الشريف المرتضى مما فى الشروح عند تأوله لقوله تعالى (يخطف أبصارهم) وكقوله : عن كلام الزمخشرى فى الانتصاف : التأويل يحتاج إليه فى الحديث دون الآية وهم يعرفه من عنده إنصاف كما جاء فى تفسير قوله تعالى (إن الله لا يستحى) وكقوله : فانظر إليه فإنه من سحر البلاغة قلما يُعثر عليه غير صاحب الكشاف أثناء تأويله لقوله تعالى (أولئك هم الخاسرون)، وكقوله هذا زبدة ما ارتضاه المصنف فى تعليقه على قوله تعالى (على هدى) وكقوله فى (يخادعون الله) (وفساد هذا الجواب أظهر من أن يخفى لذا أسقطه المصنف وإن لم ينتبه له بعض أرباب الحواشى) وكقوله : وكونها استعارة أنسب بالمقام وأظهر كما جاء فى تعليقه على قوله تعالى (يخادعون الله) وكقوله : (وعبارة المصنف نص فيه ولا بأس عليه وهذا أحسن مما ذكروه لما فيه من التكلف والتعسف فى تعليقه على قوله تعالى (الله يستهزئ) وكقوله : (وتبع السكاكى - أى المصنف - فى جعله التمثيل مركباً من غير التفات لغيره على دأبه من التنقيح كما فى تأويل قوله تعالى (استوقد)، وكقوله : فظهر أن كلام شراح الكشاف بالنظر لظاهر الآية وكلام المصنف ومن حذا حذوه بالنظر للتأويل كما فى تأويله لقوله تعالى (وعلى أبصارهم غشاوة)، وكقوله (كذا قرره العلامة) فى تحليل قوله تعالى (وكذلك فتنا...) وكقوله (وهذا مراد صاحب المفتاح وبه يندفع كلام صاحب الإيضاح، وفى هذا المقام كلام لأهل المعانى من أراده فعليه بشروح المفتاح فى بيان قوله تعالى (وإن تصبهم سيئة) الحاشية ٢٧٠/٤

وكقوله : فلا يتوهم أن رأيه لا يوافق مذهب أهل السنة وأنه غفلة منه لا تباعه الزمخشرى فى تحليله لقوله تعالى (وهو الغفور الودود) الحاشية ٣٤٤/٨، وكقوله : (وفيه كلام من أراده فعليه بالكشاف وشروحه فى تصديه لقوله تعالى (ويوم تقوم الساعة) الحاشية ١٢٩/٧، ١٣٠، وكتعليقه بقوله (وفيه كلام فى الإتقان ناشئ من عدم الإتقان فى تحليله لقوله تعالى (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) الحاشية ٣٩٢./٦

٤) كثيراً ما نراه يعود إلى السياق يستكشفه عندما يعلل لجرى لفظ فى الاستعمال على غير المألوف كما فى (أحل لكم... الرفث). ونراه فى أحايين متعددة يتصدى لبيان الوجه البيانى من تشبيه أو مجاز بعد تحليلها والوقوف مع المراد بكل لون منها كما حدث منه فى الوقوف مع قوله تعالى (والله محيط بالكافرين)، وقوله (الذين ينقضون عهد الله...) وكقوله (نساؤكم حرث لكم) وكقوله (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون).

٥) وجدناه يذكر أكثر من لون بلاغى فى الآية الواحدة ويشير إلى ذلك كما فى قوله تعالى (ما عليك من حسابهم) حين ذكر فيها المبالغة ورد العجز على الصدر، وكما فى قوله تعالى (وإذ قال لقمان) حين ذكر لها الاستطراد والمبالغة. حاشية ١٣٧/٧، وكما ذكر الاحتراس ومراعاة النظير فى قوله تعالى (إن تعذبهم) الحاشية ٣٠٦/٣، وكما ذكر الكناية والمبالغة فى قوله تعالى (وكذلك فتنا) وكما ذكر حسن التعليل والمبالغة فى قوله تعالى (إن بطش ربك لشديد) الحاشية ٣٤٤/٨، وكقوله تعالى (يؤمنون بالغيب) حين ذكر فيه اللف والنشر والتضمين والسجع. الحاشية ٢١١،٢٣٠/١ وكذكره التجريد والمشاكلة فى لفظ (يخادعون) الحاشية ٣١٦/١، وغير ذلك الكثير والكثير فى ثنايا الحاشية.

وصل الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأمته وسلم تسليماً، والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً.

ثبت بأهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ت. محمد أبو الفضل إبراهيم – ط/ الهيئة المصرية ١٩٧٥م.

٢) أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجانى ت. د. محمد عبد المنعم خفاجى – مكنبة القاهرة ط/١/١٩٧٢م.

٣) الإيضاح فى علوم البلاغة – جلال الدين القروينى ط/ صبيح ١٣٩٠ هـ – ١٩٧١م.

٤) البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى الغرناطى طبعة أولى مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ.

٥) البديع فى ضوء أساليب القرآن د. عبد الفتاح لاشين – دار الفكر العربى – القاهرة.

٦) البديع من المعانى والألفاظ أ.د. عبد العظيم المطعنى – ط/١ مكتب وهبة – القاهرة.

٧) البلاغة التطبيقية د. أحمد أحمد موسى – مطبعة المعرفة ١٩٦٣م.

٨) البلاغة تطور وتاريخ د. شوقى ضيف – الطبعة الخامسة – دار المعارف.

٩) تفسير غريب القرآن – ابن قتيبه – طبعة / دار الكتب العلمية ١٩٧٨ – بيروت – لبنان.

١٠) تلخيص البيان فى مجازات القرآن للشريف الرضى – ط. طهران ١٤٠٧هـ.

١١) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى – دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان.

١٢) دراسات فى علم البديع د. عبده زايد – مطبعة الأمانة ١٩٨٦م.

١٣) ديوان حسان بن ثابت حققه وعلق عليه د. وليد عرفات طبعة دار صار بيروت.

١٤) الصبغ البديعى د. أحمد إبراهيم موسى ط/ دار الكاتب العربى – القاهرة ١٣٨١هـ

– ١٩٦٩م.

١٥) الصناعتين لأبى هلال العسكرى تحقيق على محمد البجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم – دار الفكر العربى ط.٢

١٦) الطراز للإمام العلوى مراجعة محمد عبد السلام شاهين – دار الكتب العلمية – لبنان.

١٧) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل – محمود بن عمر الزمخشرى – دار المعرفة – بيروت.

١٨) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطيه الغرناطى ت. أحمد الملاح ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٩هـ.

١٩) مفتاح العلوم لأبى يعقوب يوسف السكاكى – ط/الحلبى.

٢٠) النكت فى إعجاز القرآن للرمانى تحقيق د. محمد زغلول سلام ومحمد أحمد خلف الله – ط / دار المعارف.